وحدة المفاهيم.. وتعدد التعبير

تأملات في الديانات.. والرسالات السماوية

علي
عليا. وعائشة
رافع

ترجمة: حسن الفيلي

اهداءات ٢٠٠٤

وحدة المفاهيم .. وتعدد التعبير:

تأملات في الديانات.. والرسالات السماوية

علـــي

علياء و عائشة

رافع

ترجمة: حسن العسيلي

Beyond Diversities:

Reflections on Revelations

First Published 2000

وحدة المفاهيم.. وتعدد التعبير:

تأملات في الديانات.. والرسالات السماوية

الطبعة الأولى من النسخة العربية ٢٠٠٢

تصميم الغلاف: مأمن رافع

طبع دار صادق

نشر وتوزيع المكتبة المصرية

١٩ ش أحمد ذو الفقار، لوران - الاسكندرية

رقم الإيداع بدار الكتب القومية

٢٠٠٢/٤٩١٩

I.S.B.N. 977-5337-18-6

حتى يخرج هذا الكتاب إلى القارئ بصورة ابتغينا لها الكمال
ولا نقول إننا قد أدركناه .. شاركنا الجهد عدد من أخوتنا وأخواتنا.
فقد كانت الأخت باسنت أحمد موسى
خير مساعد لزوجها الأخ حسن العسيلي في عملية الترجمة،
وتطوع الأخ زين العابدين عبد الحميد أحيانا بالكتابة
لما يمليه عليه المترجم أثناء القيام بالترجمة الأولية.
وقام الأخ رافع السلاموني بنسخ الكتاب على الكومبيوتر.
ولقد استعنا بجهد الأخوة أحمد عبد العظيم وإبراهيم عبد الخالق
وأكرم عبد العال وعلي عبد العظيم في تحقيق الأحاديث النبوية الشريفة.
وتولت الأخت إيناس الصحن مراجعة الآيات الشريفة من القرآن الكريم،
و تحقيق نصوص الكتاب المقدس وتصحيح الأخطاء المطبعية.
وبذل الأخ خالد العدوي جهدا كبيرا في الإخراج الفني للكتاب.
أما الناشر الأخ الدكتور صادق العدوي فهو لا يتوانى
عن بذل أي جهد أو إمكانيات لتقديم العمل بصورة مشرفة.
ولقد عكس التعاون في تقديم هذا العمل روح مجموعة كاملة
تلتف حول قلب واحد، وتسعى لهدف واحد
هو سريان روح الوحدة والمحبة في البشرية جمعاء،
وهو الهدف الجوهري للعمل نفسه.

ولا يسعنا إلا أن نشكر الله سبحانه وتعالى
علي أن وفقنا جميعا في إخراج هذا العمل
ونصلي ونسلم علي رسول الله ونسأل الله منه مددا دائما قائما.

الحمد لله والشكر لله

والصلاة والسلام على رسول الله

المحتويـــات

ومضات عن المؤلفين

السيد علي رافع والسيدتان علياء وعائشة هم أبناء الرائد رافع محمد رافع (١٩٠٣-١٩٧٠م) وهو المعلم الصوفي الذي كانت رحلة حياته على الأرض تعبيرا حيا عن معنى المحبة التي تشع من قلبه للبشرية بأسرها. وما غاب الأب عن الأبناء منذ غاب عن الأرض .. فهم يشعرونه قريبا .. في عقولهم وقلوبهم يلهمهم وهم يواصلون رسالته. إنما الرسالة التي تعبر عن عقيدة راسخة بأن البشرية في حاجة لأن تراجع رؤيتها لنفسها وأن تدرك معنى أن يكون الإنسان إنسانا، وأن تحقيق هذا المعنى هدف لا يتوقف السعي إليه، فالإنسان حين يحقق إنسانيته فهو إنما يبلغ الرسالة التي خلقه الله من أجلها. من هذا المنطلق و بروح المحبة والتسامح كان الرائد رافع محمد رافع منفتح العقل والقلب لكل الديانات والحكمة القديمة والرسالات السماوية والرسالة الروحية القديمة والحديثة في الشرق وفي الغرب.. يقرأ فيها جميعا تعاليم وتجارب من هم بوجودهم أصدق تعبير عن معنى الإنسان..

السيد علي رافع هو الرائد الروحي للجمعية المصرية للبحوث الروحية والثقافية، وهو يقول دوما إنه لا يعتبر نفسه معلما أو شيخا بالمعنى التقليدي، بل باحث عن الحقيقة ورمز للدائرة، وهذا الموقف منه يعتبر في حد ذاته تطورا في الطريق الصوفي وعلاقة المعلم بالمريد، حيث أنه يتضمن دفعا للمريدين بأن يجاهدوا بأنفسهم ومن داخلهم ليسلكوا طريق التحقق، فهو يعلّم أن المعرفة والحقيقة داخل الإنسان وفي فطرته وعليه أن يصل إليها بالجهاد وطلب الاستقامة والاستعانة بالله ورسوله ﷺ. إن الصدق الشديد في كل ما يقول ويفعل السيد علي رافع وبساطته وإخلاصه ومحبته لا يخطئها كل من حوله. كما أن روحه المضيئة تشهدها القلوب

الطاهرة وهي تشرق من داخل مريديه ترعاهم وتعلمهم.. فإذا ما كانت تعاليمه تضيء لهم الطريق فعلا وحقا، إلا أن أهم ما يعلمهم إياه هو أن يستمعوا لكلمة الحق في قلوبهم.

السيد علي رافع عالم بارز في علوم الحاسب الآلي على المستوى العربي والدولي. وهو أستاذ بجامعة القاهرة. وقد حصل على درجة الدكتوراه من فرنسا.

تحت إشرافه وتوجيهه المباشر والروحي قامت السيدتان علياء وعائشة بالبحث في أصول الديانات والرسالات السماوية. وبمناقشة النتائج ومحاولة توخي الموضوعية والتجرد بقدر المستطاع تبلورت الرؤية المقدمة في هذا الكتاب، وهو واحد من سلسلة يعملون على تقديمها تتضمن رؤيتهم للحياة من المنظور الروحي. أما الهدف المشترك في كل الأعمال فهو دعوة منهم لأنفسهم أولا ثم للعالم كي ما يحاول الإنسان فيه أن يعيش حياة حقيقية، وهم يعتبرون أن من يبحث عن الحياة الحقيقية سوف يقرأ الإرشاد المتضمن في تعاليم كل الديانات والرسالات السماوية بقلب متطهر، وبما داخله من معنى روحي وحقي، فيدرك حينئذ أن كل الديانات في جوهرها تدعم الإنسان في تطلعه الفطري الداخلي لأن يعيش وفقا لقانون الحياة السرمدي، ذلك القانون الشامل والمحيط بكل الحياة في تجلياتها الفيزيقية والمعنوية.

السيدة علياء توجهت لدراسة علم الإنسان وهي في معرض جهادها لتطوير قدراتها لتخدم وتعبر عن رسالة الروح وذلك بعد طرقها باب دراسة الفلسفة في مقتبل حياتها الدراسية وهي الآن عضو هيئة تدريس بكلية البنات جامعة عين شمس، ولها عدد من الأبحاث الأكاديمية التي استعملت فيها علم الإنسان لإلقاء الضوء على أهمية الجانب الروحي للحياة الإنسانية وتطورها الحضاري. ولقد شاركت الدكتورة علياء بأبحاثها في عدد من المؤتمرا الدولية ولاقت رؤيتها الكثير من التقدير. وقد اختيرت كأستاذ زائر بواحدة من كبريات الكليات الأمريكية* فركزت في تدريسها على بيان أن العالم المعاصر في حاجة إلى الإسلام بما يحمله من رسالة من شأنها أن تجمع البشر نحو هدف واحد دون أن تفرض عليهم صورة

---

* Randolph-Macon Women's College, Lynchburg, Virginia

www.rmwc.edu

محددة لتحقيق هذا الهدف.

السيدة عائشة رافع كاتبة وإعلامية عملت بعدد من وسائل الإعلام العربية والدولية. لها ثلاثة مؤلفات في مجال الثقافة الروحية حاولت من خلالها تقديم البعد الروحي لتعاليم الإسلام، فهي تلاحظ أن غياب هذا العمق عن عقول وقلوب الناس يؤدي بهم إلى تحويل النصوص المقدسة لمجرد أوامر حرفية جامدة مفرغة من الروح، وبالتالي يتحولون هم أنفسهم إلى كائنات تتصف بالتجمد والصلف والغرور والرغبة في السيطرة على الآخرين. إن مؤلفاتها تعكس تفاعلها الخاص مع الإرشاد الذي تتلقاه من أبيها وأخيها، وهي تكتب أيضا عمودا بعنوان "لحظة إدراك" في مجلة أكتوبر الأسبوعية، وتكتب أيضا لمجلة Sufism: *An Inquiry* الدولية الفصلية التي تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية.

السيدتان عائشة وعلياء قامتا بترجمة قصة "من مذكرات خبريلس" إلى الإنجليزية، وهي القصة التي كتبها والدهما في الستينيات من القرن العشرين، والتي تضم تنبؤا بأن القرن الحادي والعشرين سيشهد إحياء للوعي الروحي على المستوى العالمي يكون من شأنه القضاء على الصراعات الدينية التي تسبب فيها أتباع بعض الديانات بسبب انتشار روح التعصب وسوء الفهم عن جوهر تلك الديانات.

تقديم للنسخة العربية

المسلمون .. وحوار الحضارات والثقافات

شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين محافل دولية وإقليمية متعددة تدير حوارات حول كيفية تقارب شعوب العالم بكل انتماءاتها الحضارية والثقافية المختلفة، وبدون أن تشهد الشعوب ثمرات مثل هذه الحوارات، وقبل أن ينتهي العام الأول من القرن الحادي والعشرين بشهور قليلة إذا بحادث مدو يهز العالم، وهو حادث الحادي عشر من سبتمبر حيث اقتحم عدد من الطائرات مبنى التجارة العالمي بمدينة نيويورك، لتحترق بكل من عليها وينهار المبنى العملاق ويتساوى بالأرض في لحظات وسط ذهول الناس جميعا، وساد الحزن أرجاء أمريكا لسقوط آلاف القتلى من العاملين بالمبنى، فضلا عن الشعور بالإهانة الشديدة لما يحمله هذا المبنى من رمز لقوة أمريكا. وبغض النظر عن الأبعاد المختلفة لهذا الحادث، فإن أحد تداعياته كان ظهور مدى التباعد الثقافي والنفسي بين شعوب العالم، فقبل أن تتم أية تحقيقات عن مرتكبي الحادث، اتجهت الأنظار فورا إلى من يحملون شعار الإسلام تتهمهم وتصب عليهم لعناتها وغضبها، وتوالت الأصوات من الغرب تفصح عن مدى التشوه الذي يختزنه البعض في أذهانهم لصورة الإسلام والمسلمين، ويعرب الكثيرون عن عمق انطباعهم بأن كلمة "المسلم" تساوي عندهم تماما كلمة "إرهابي"، كما أعرب كثيرون عن الربط بين الإسلام وبين التخلف الحضاري بجميع صوره. على الجانب الآخر برزت بعض الأصوات في المجتمعات الإسلامية تعرب عن اعتقادها بأن الاعتداء إن كان بيد المسلمين حقا فهو يكون مدعاة للفخر لأنه يعتبر من قبيل الجهاد الإسلامي، وسط دوي الهجمات المتطرفة في عدائها للآخر من الجانبين، جددت الأصوات المعتدلة والحكيمة في كل حضارة دعوتها للتحاور،

وللفهم المتبادل، حتى لا يكون القرن الحالي قرنا يعود بنا إلى الحروب الدينية التي شــهدها العالم في العصور السالفة، وحتى لا تشهد الأمم المعاصرة صدامات حتمية بين الحضــارات والثقافات المختلفة، تؤدي في النهاية إلى تدمير الجنس البشري، أو زيادة معاناة الشعوب فوق معاناتها الموجودة بالفعل.

مع بدء هذه الحقبة التي يقول المؤرخون والمفكرون أن البشرية دخلت بها منعطفا جديــدا، والتي يدرك فيها العقلاء في العالم مدى احتياج الشعوب للتقارب الثقافي، والإنساني، مــع احترام التنوع، ووسط الأصوات التي تدعو للسلام بين أبناء الجنس البشري سلاما ينبع مــن عمق الفهم في معنى الإنسان والإنسانية، نحن مؤلفي هذا العمل ندعم الدعوة إلى الحوار بـين جميع الحضارات والثقافات، ونقتنع قناعة تامة بأن كل إنسان تواجد في هــذا العصــر وفي مكانه من العالم لأن له رسالة يؤديها، وأن أي إنسان أو مجتمع في أي بقعة من العالم، وأيـا كان مستواه، لديه ما يمكن به أن يعطي الآخر، وأن يُعلِّم الآخر، وأن يتعلم من الآخــر. إن تعاليم الحق إلينا كمسلمين تتضمن توجيها مباشرا للتواصل مع البشر أجمعين، وللانفتــاح على أي علم ومعرفة، في أي مكان وزمان، فالحق يخاطبنا في كتابه الكريم قائلا: "وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"(الحجرات: ٤٩: ١٣). الآية الكريمة تحثنــا على التعارف وحين تقول "شعوبا وقبائل" فهي تكشف في الوقت ذاته عن حكمــة هــذا التنوع والاختلاف الذي نراه على أرضنا في جميع مناحي الحياة، والحوار الذي يُدعى إليــه حاليا ما هو إلا أن "تتعارف" كل أمة وكل حضارة على ما تحمله الحضارة الأخرى مــن معان ومفاهيم وأساليب في الحياة، هذا التعارف يؤدي إلى خير كل أمة وكل شعب، لأنهـا تتعلم معان ومفاهيم قد لا تكون موجودة عندها.

إننا لو تعمقنا في فهم هذه الآية الكريمة لأمكننا تفعيل معانيها في عصرنا هذا بصورة غــير مسبوقة في تاريخ الجنس البشري الذي نعرفه على الأقل، فنحن في هذا العصر نشهد وسائل متعددة اكتشفها الإنسان ويمكن أن يتعارف الناس بعضهم ببعض بسهولة فائقة،وقد يشــهد المستقبل وسائل أكثر سرعة وسهولة، لكن ما نشهده بالمقارنة للماضي وحيث كان اتصـال إنسان بآخر، في بلد آخر يعتبر غير ممكن إلا في النادر، يجعلنا ندرك أننا اليوم نســتطيع أن نضع هذا الحث على التعارف موضع التنفيذ بسهولة ويسر، فكل إنسان على حدة يسـتطيع أن يتعارف على الناس جميعا، ويستطيع أن يقدم ما عنده من معرفة حقية للجميع.

إن بعض المفاهيم المغلوطة هي التي تعوق البشر عن الاستفادة من هـــذا التنــوع الثقــافي والحضاري الموجود على أرضنا، وهذه المفاهيم موجودة عند جميع الأمم على الرغــم مــن اختلاف جذورها، وأسبابها، ومبررات كل طرف. فكل منهم يرى أنه يملك الحق كل الحق وبالتالي لا يرى معنى للحوار، ولا جدوى من الحوار مع الآخر، فبعض المسلمين على سبيل المثال يقول إن ديننا هو الخاتم والكامل والشامل، فما فرط الكتاب من شيء، فما حاجتنــا لأي فكر آخر؟ إن علينا فقط أن نعمل ما أعطانا الله في الكتاب والسنة الشــريفة. علــى الجانب الآخر يرفض الجانب الغربي أن يكون في موضع الاســتفادة مــن تعــاليم الديــن الإسلامي، فهو يرى في حضارته الحديثة مثالية في فهم الحياة وممارستها بدرجة يرفض معـها أي أسلوب آخر في التفكير، وهناك حواجز كثيرة تمنعه من الاستفادة مما هو موجود بــين يدي المسلمين من معرفة وعلم حقي، من هذه الحواجز حال المسلمين حاليا بما هم فيه مــن تأخر حضاري سياسيا واقتصاديا وعلميا، وهذا يجعل الغرب يظن خطأ أن الدين الإســلامي هو السبب في هذا التأخر، ويربط بينه وبين ما حدث في الغرب في العصور الوسطى المظلمة حيث كان الدين كما فرضته السلطات الدينية مدعاة للتأخر، و لم تتقدم أوروبا إلا بتحجيم دور الدين في أسلوب الحياة.

إننا بحاجة إلى كسر تلك الحواجز بين الجانبين بإظهار جوانب الضعف في منطق كل منهما. المسلمون حين يتذرعون بحجة أن الإسلام بتعاليمه ونصوصه الأصلية ما فرط من شيء فإنهم في الحقيقة يقولون كلمة حق لكنها تؤدي بهم إلى باطل. فكون الإسلام فعلا يحتوي علــى الحق كل الحق لا يعني أننا نحن المسلمين على حق مطلق، أو أن نفرض على الله-ونســتغفر الله- أن يؤيدنا أو يجعلنا الأفضل بين الأمم لمجرد انتمائنا الاسمي أو الشكلي لدين الحق، أو أن هذا الانتماء الاسمي يعطينا الحق في أن نسود بمفاهيمنا وبعاداتنا وأحوالنا على كل شــعوب الأرض، فهناك فارق كبير بين المفاهيم الأساسية أو ما جاء به كتاب الحق، وبين ما نحــن عليه، فنحن مهما أوتينا من علم، ومهما أوتي أي إنسان من علم فهو يفهم الكتاب بقــدر أهليته، وبقدر علمه، وبقدر استعداده، وبقدر تذوقه للمعاني المختلفة. فالإدعاء بأننا نعــرف كل ما أتى به الكتاب، وأننا الأمة الوحيدة التي على حق لمجرد انتسابنا للكتاب اسما، يخلــو من الحقيقة في واقع الأمر، لأننا سنكون دائما أقل مما أتى به الكتاب الحق في جميع منــاحي الحياة، لأن العلم فيه لا نهائي والمعرفة بما فيه تزداد دوما بالمعرفة في جميع مناحي الحياة، ولــو نظرنا إلى واقعنا المعاش سنجد فجوة كبيرة بين ما جاء في كتاب الحق وبــين مــا عليــه

المجتمعات التي تحمل اسم الإسلام في عاداتها وتقاليدها ومستوى العلم والحضارة فيها. وقد يوجد في المجتمعات الأخرى التي لا تحمل اسم الإسلام من القيم والمعارف والعلوم ما يتوافق مع المعاني التي هي موجودة في قلب الإسلام مثل احترام قيمة العمل والالتزام فيه، وتقدير قيمة الوقت، والرحمة بالمريض...إلخ. وهذا بعض مما عناه الإمام محمد عبده حين لاحظ وجود بعض تلك القيم المحمودة في الغرب فوصفها بأنها من الإسلام، رغم أنها ليست أمة من المسلمين. فهذا دليل على أن هناك من المعاني الأساسية التي قد تكون مجتمعات غير مسلمة قد اكتسبتها بالممارسة والعلم والتجربة، مما لم تكتسبها مجتمعات تنتمي للإسلام رغم وجود هذه المعاني والقيم في صميم دين الفطرة وفي تراثها الروحي، فربما لأنها لا تمارسها في حياتها المدنية، أو لأن المجتمع لا يدار بالطريقة الأفضل والأقوم، أو حالت ظروف معينة دون تعرضها للخبرة التي تعرضت لها المجتمعات الأخرى فكانت قلة المعرفة وقلة التجربة وقلة الخبرة حاجبا لمثل هذه القيم عن تلك المجتمعات . وهنا لا مانع أن يكون الحوار وسيلة لأن تأخذ المجتمعات الإسلامية من الآخر ما هو أفضل وأحسن. فالحوار يجب ألا يقتصر على أمور عقائدية أو غيبية، ولكن قد يشمل مفاهيم تطبيقية ومفاهيم مادية في كيفية إدارة المجتمع، وفي أساليب عملية كثيرة بها آليات لتطبيق قيم يوافق عليها المجتمع المسلم، وربما لا يستطيع تطبيقها بأسلوب جيد بمجرد قراءة كتاب الله وسنة رسوله. فالاستفادة من أي تجربة في أي بقعة من العالم حققت أسلوبا جيدا في إدارة مجتمع يكفل خيرا وعدلا للبشر هو أمر في إطار "التعارف" الذي يحثنا عليه ديننا، وهو التفاعل مع كل ما هو موجود لنأخذ الأفضل والأقوم والأحسن في أي مكان وفي أي مجال ولذلك تقول الآية "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، فالتقوى تعني أن يخشى الإنسان الله فلا يتكبر على أن يتعلم من أي إنسان، التقوى هي خشية الله، وعدم التكبر، وهي التواضع والإدراك، والتعلم من أي شيء، وهذا الذي يتعلم سيكون الأكرم أي الأعلم والأفضل والأقوم، ليس الأفضلية على الناس بمعنى الجبروت أو التميز، ولكن بمعنى أقرب إلى الله وأقرب إلى الحقيقة، أي هو الذي أعد نفسه لرحلته الحقية فيما بعد هذا العالم باستقامته في طلب العلم في هذا العالم.

على الجانب الآخر تخطيء الشعوب التي توصف بأنها دول وأمم متقدمة حين تظن أنها بلغت قمة المعرفة التي تغنيها من داخلها عن احتياج ما للدول الأخرى الأقل تحضرا، فكون بعض البلاد أقل تحضرا أو أقل علما لا يعني أن ليس لديها ما تعطيه، فربما يكون لديها ما تفتقده الدول الكبرى أو المواطن في تلك الدول المتقدمة، فهو مثلا قد يكون مفتقدا لفهم الدور

الذي يقوم به الإيمان بالله في الحياة، أو الإدراك الصحيح لمعنى الحياة على هذه الأرض، والرسالة التي يوديها الإنسان عليها، وأنه مخلوق لهدف أكبر من الحياة المادية، وأن هناك رسالة له بعد هذه الحياة. إن الإنسان في الشرق لديه الإيمان العميق باليوم الآخر والحياة الآخرة، ومفهوم أنه يجب أن يتعامل مع الله في كل أمر مهما كان هذا الإنسان بسيطا في تعاملاته أو في علمه أو مجال معرفته، إلا أن هذه القيم الروحية الأساسية والتي هي موجودة في فطرة كل إنسان تكون ظاهرة فيه لأنها لم تضع في خضم المدنية وطغيانها كما حدث للإنسان الغربي، وبالتالي ربما يحتاج الإنسان في المجتمعات الغربية أن يتعلم هذا الجانب، وتلك القيمة، إذا ما فتح نفسه لحوار وتعارف مع الإنسان الشرقي. من ناحية أخرى فالغرب مطالب بأن يفهم أن تجربته مع الدين تختلف على المستوى التاريخي عن تجربة الإنسان المسلم، فالإسلام كدين وبغض النظر عن حال المسلمين حاليا كان أساسا ودافعا لإقامة حضارة عظيمة ماديا وعلميا وفكريا كتجربة بشرية حقيقية، والزعم بأن الإسلام هو السبب في تأخر المسلمين قول يخلو من علم حقيقي بالتاريخ وبتجارب الأمم الحضارية، فإذا ما أراد الغرب بحق أن تكون مواقفه قائمة على الموضوعية العلمية فسيدرك أن تراجع العالم الإسلامي المعاصر حضاريا ليس بسبب الإسلام، وإنما بسبب عديد من الأسباب الأخرى ومنها شيوع المفاهيم الخاطئة والجهل بالإسلام. من هنا فسيكون الأجدر به أن يدخل في حوار مع المفاهيم الأساسية في الإسلام من خلال طرحها بصدق وصفاء نية دون أغراض مادية من أي نوع.

ما نود أن نؤكده في هذا السياق هو أن إيماننا نحن المسلمين بأن محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء، وبأنه بعث للناس كافة، وأن ما بين أيدينا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يصلح لكل زمان ومكان، إنما هو مسئولية كبيرة تدعونا للتفكير في كيف نكون أهلا لها؟ وكيف يمكن أن نكون أداة صالحة للعالم الذي يموج بالحيرة وباختلاط الأمور؟

إن الإجابة تأتي من داخل تعاليم ديننا نفسها، فيقول لنا الرسول الكريم ﷺ أن "الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها"[1] ، ويقول لنا أن دين الحق موجود منذ أبد الآبدين، فأبونا آدم عليه السلام هو أيضا رسول الله، وقد حمل رسالة الإسلام. ويبين القرآن الكريم

[1] سنن الترمذي

الذي أمرنا بأن نؤمن بجميع الرسل والكتب السماوية:

"وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ"

(فاطر: ٣٥: ٢٤)

"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ"

(غافر: ٤٠: ٧٨)

وليست القضية الجوهرية في أي حوار هي أن ننشغل بتقييم أي ديانة قديمة أو رسالة سماوية ونركز على ما أصابها من تحريف، كما ليس هو هدف في حد ذاته أن نقول بأن كون الإسلام كما بلغه سيدنا محمد ﷺ هو خاتم الرسالات يعني أنه يَجُبّ وينسخ كل ما جاء في الديانات السابقة. فهذا الموقف لا يؤدي إلا إلى وجود استعلاء من المسلمين على أتباع الديانات الأخرى، وهو ما يتنافى مع تعاليم الإسلام نفسها التي تقول: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (النحل: ١٦: ١٢٥). أي أن المسلم عليه أن يبحث عن الحكمة والعلم والمعرفة بلا نهاية، وعليه في نفس الوقت أن يعبر عنها ويتواصى بها من منطلق المحبة لا السيطرة، والتواضع لا الكبرياء أو الزهو، والانفتاح على أي معرفة أو حكمة وليس الانكفاء على الذات بظن مقولة "يكفينا ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ". ذلك لأن ما جاء في كتاب الله سيظل مجالا لفهم متجدد بلا حدود، وها نحن نرى كيف تتكشف معاني كثيرة من الآيات التي بها إشارات لحقائق كونية من خلال الاكتشافات العلمية. أي أن أصحاب تلك الاكتشافات العلمية الحديثة وهم من غير المسلمين لهم علينا فضل في مزيد من الفهم لآيات القرآن الحكيم، إذن فالأولى بمن يؤمن بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن يكون مهتما بالأخذ منهما باستمرار والفهم فيهما بلا نهاية، فكلما تعرض لأي مجال من العلوم المادية أو الحكمة والمعارف المعنوية ساعده ذلك على أن يعرف أكثر وأعمق فيما جاء به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فتصبح القراءة في تلك المصادر الأصلية قراءة حية ومتجددة بتجدد البشرية وعلومها ومعارفها، ويبقى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أعظم وأكبر من كل فهم واجتهاد. فحين تقول الآيات الكريمة: "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" (القيامة: ٧٥: ١٧-١٩) يمكننا أن نفهم أن "البيان" لن

ينتهي أبدا، وأن كل يوم يعيش فيه الإنسان من الممكن أن يعرف جديدا. هذا يجعلنا نقول إن البشرية جميعا تحتاج إلى التعاون من منطلق الإحساس بالوحدة الإنسانية، وحدة النشأة: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" (الأعراف: ٧: ١٨٩)، ووحدة الهدف: "إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا" (مريم: ١٩: ٩٣)، فالعبودية لله هدف الإنسان من التواجد على هذه الأرض، وقد عاهد الله عليه منذ أبد الآبدين: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ" (الأعراف: ٧: ١٧٢). ووحدة المصير: "مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"(لقمان: ٣١: ٢٨). إن قول الحق تبارك وتعالى: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة: ٢: ٣٠)، "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ"(الإسراء: ١٧: ٧٠) تجعل بلوغ معنى الإنسان هدفا ساميا ومشتركا بين جميع البشر، أجدر بهم أن يتعاونوا على تحقيقه، كل بما يتيسر له.

من هذا المنطلق كان البحث المقدم في هذا الكتاب الذي انطلقنا فيه بروح الإيمان بأن المفاهيم الأساسية التي يقدمها الدين الحنيف .. دين الفطرة، موجودة في التراث الروحي لهذه البشرية، وقد غابت تلك المفاهيم لأسباب متعددة فغابت عن وعي المتابعين للديانات المختلفة، مما أدى للفرقة والانقسام بين البشر، وأخذوا في تناول الديانات المتعددة من منطلق المقارنة التي يحاولون بها إبراز التميز والتفوق، وبالتالي التنافس والتصارع. هذا البحث المبدئي ما هو إلا تذكرة بالمفاهيم الأساسية التي سجلتها كل الديانات القديمة والرسالات السماوية، استقينا الفهم عنها من روح الكتاب الكريم وسنة رسول الله ﷺ المشرفة، ومن نبعهما عدنا للكتب الخاصة بتلك الديانات نبحث عن تلك المفاهيم التي توارت خلف بعض المظاهر والممارسات في كل ديانة، فوجدناها، ونعرضها في محاولة للتذكرة بالهدف الواحد الذي يستحق منا كبشر الالتفاف حوله والتعاون لتحقيقه.

المؤلفون

١٩أبريل ٢٠٠٢

المقدمة

حوار خاص جداً!!

هل نستطيع نحن أبناء هذا الجنس البشري أن ننحي جانبا ولو لفترة قصيرة مظاهر الاختلاف بيننا في اللون، واللغة، والوطن، والديانة؟ وهل يمكن أن نتجه إلى داخلنا بهدوء وسكينة متناسين أي مظهر من مظاهر الاختلاف؟ هل لنا أن نخلع عن وجودنا طبقات وطبقات من الحواجز المادية التي تراكمت بداخلنا عبر دهور ودهور طويلة؟ إن اللحظة التي نتمكن فيها من إنجاز ذلك بملء إرادتنا، نصبح عندها قادرين على خوض تجربة خاصة نحيي فيها "أصلنا الواحد": الروح. ولو عشنا هذه الحقيقة فعلا لاكتشفنا عمق الوحدة التي تربط هذا الجنس البشري وعندئذ يتحول التنوعُ الشديد بيننا إلى تكامل رائع ووحدة كاملة متجددة للأبد..

نحن مؤلفي هذا العمل لا ندعي أنه يجب أن تتحول الأرض إلى جنة سماوات، أو أننا نحاول رسم "مدينة فاضلة" من أي نوع. إننا فقط نؤمن إيمانا يقينيا أن الإنسان إذا ما أتيح له الوسط المناسب يكون بمكنته إدراك حقيقة كونه روحا قبل أن يكون جسدا، فالوعي الروحي يساعد في إنقاذ الجنس البشري من صراعات مادية كثيرة حيث أن عددا كبيرا من هذه الصراعات يحدث نتيجة جهله بالحقائق الروحية.. وعلى الرغم من أن كشف الحقائق الروحية كان هو الهدف الرئيسي من وراء كل الديانات السماوية والفطرية التي علمت وتعلم الإنسان كيف يعيش وفقا لها، إلا أن كل هذه الديانات للأسف الشديد قد أسيء فهمها واستعمالها، ونالها الكثير من التشويه والإهمال، والأسوأ من ذلك أن بعض الناس اتخذوا منها أسبابا ملفقة لإشعال الحروب، وسفك الدماء، ونشر الفرقة، والاستغلال، واستعمار أرض الغير، بل إن بعض الفرق والمذاهب ترى أن واجبهم الديني يقتضي منهم إرغام الغير على إتباع دياناتهم، ويجد البعض الآخر ما يبدو وكأنه أسباب منطقية للتعالي

على الآخرين، مما يشعل نار الفرقة، ويبذر بذور القهر التي تعبر عن نفسها بصور عديدة سياسية، واجتماعية، وتربوية، تشتد في عنفها أو تضعف كل حسب درجته، وإن ذلك لا يظهر فقط على المستوى الاجتماعي، بل يظهر أيضا على المستوى الفردي، أي في داخل كل إنسان؛ فكثير من مشاكل الإنسان العصري تنبع من رغبة الانتماء إلى شيء حقيقي أكبر من كل ما هو زائف أو عابر حتى يتخلص من كل العوامل المحيطة التي تمزقه..

إن الهدف من وراء هذا العمل هو دعوة لأتباع كافة الديانات إلى حوار خاص من نوعه، حوار لا يضع "أنا" و"أنت"و"هو" أو "دينك" و"دين الآخرين" ككيانات منفصلة تسعى إلى مجرد التعايش، فعلى الرغم من نبل هذه الغاية فهناك خطوة جديدة للأمام.. فحوارنا المنشود أكثر طموحا، كما أنه يقوم على أسس وجذور عميقة. إن الطرف الأول في الحوار هو: الإنسانية كلها كوحدة واحدة مجتمعة بكل إمكانياتها، وقدراتها، وطاقاتها الإبداعية وآمالها.. والطرف الثاني هو: ميراثنا الروحي كله الذي وهبنا الله إياه على فترات من التاريخ في أنحاء مفترقة من هذه الأرض. نود أن نتأمل سويا بعمق تعاليم وإرشادات كافة الديانات، وكلمات الحكمة التي قيلت، والنظر إلى الرسالة الرئيسية التي تجمع كل هذه الديانات فنحن نفترض هنا أن كل رسالات الحكمة والديانات قد جاءت لتواكب التقدم الروحي المطرد، والذي يتوافق مع بلوغ الإنسان لرشده ونضوجه الحقي، والتي كانت وستظل دائما مصدرا للإرشاد الذي يشبع حاجات الإنسان الروحية مع كل قراءة جديدة لها..

لقد لاحظنا أن هناك طريقا مشتركا يجمع فيما بين كل الرسالات وكلمات الحكمة، ومع أن تعاليم هذه الديانات تتنوع في أساليب التعبير، فلكل ديانة شخصيتها التي تميزها عن غيرها، إلا أن الهدف منها جميعا يظل واحدا ألا وهو التطور الروحي للإنسان، فكل التعاليم توجهه لإتباع منهج يجعل حياته الأرضية مثمرة بحيث يكتسب منها حياة حقيقية.. هذا الطريق أو "المنهج" أطلقنا عليه اسم "دين الفطرة" ففي الديانات جميعا يتلقى الإنسان الإرشاد بأن يكون على الطريق وذلك بأن يصل وجوده بمصدر الوجود كله من داخله ومن حوله، ويتعلم أن يكسب الحياة الحقيقية من خلال تحويل كل مظاهر حياته الأرضية إلى معان لخدمة تطوره ونموه الروحي، أي أن هذه الديانات ترشد الإنسان إلى العيش مترنما مع قانون الحياة الأبدي، وعلى قدر ترنمه وتناغمه مع هذا القانون ينمو روحيا، وبقدر نموه تكون حياته تعبيرا حقيقيا عن توجهه لهدفه الأسمى روحيا..

إن عملنا هذا مبني على بحث عميق في أكبر الديانات التي ظهرت على وجه الأرض، الديانة المصرية القديمة، الطاوية، الهندوسية، البوذية، اليهودية، المسيحية، والإسلام بهدف إلقاء الضوء على حقيقة أن كلا منها يعكس ويظهر جليا مظهرا من مظاهر دين الفطرة، وقد رأينا أننا نستطيع أن نصل إلى هذا الهدف من خلال منهج منظم:

- إذا ما أثبتنا أن كل الديانات تدعو الإنسان للعيش وفقا للقانون الإلهي..
- إذا ما أثبتنا أن كل الديانات تؤكد على مفاهيم جوهرية واحدة..
- إذا ما أثبتنا أن كل الديانات يصب بعضها في البعض الآخر، ويصدق بعضها بعضا..

ولقد اكتشفنا أثناء البحث أن المفاهيم التي استمرت في جميع هذه الديانات والتي جعلت منها وحدة متكاملة تتلخص في دعوة الإنسان إلى :

- الإيمان بقوة عليا هي مصدر القانون الإلهي، إيمانا يحرره من عبودية حياة مادية زائفة، ويربطه بمصدر الحق فيه ومن حوله.
- الإيمان بديمومة الحياة، مع التركيز على النمو الروحي أثناء حياته الأرضية.
- الحياة وفقا للقانون الإلهي وذلك من خلال :

ربط نشاطه اليومي على هذه الأرض بهدفه الكلي من الحياة، ومواجهة التحديات التي يلاقيها أثناء رحلته على الأرض.

المحافظة على ممارسات التعبد التي هي بمثابة وسائل للتطهر، ولتحقيق النمو الروحي.

من الجدير بالذكر أن هذا العمل اعتمد أساسا على الكتب المقدسة المعترف بها لكل ديانة كمصدر أساسي يمكن الرجوع إليه، أي أننا لم نود أن نشتت جهودنا في الرجوع إلى الكثير من العادات والمفاهيم المتوارثة التي نسبها إلى الدين متابعو كل ديانة عبر الزمن، كذلك لم نهتم بالاختلافات بين الطوائف والشيع، إنما نحن قد بحثنا في التعاليم الأصلية التي جاءت بها الكتب المعترف بها.. فمثلا اعتمدنا على "كتاب الموتى" في الديانة المصرية القديمة، إضافة إلى بعض الأصول كما نقلتها بعض المراجع، أما في الديانتين الطاوية والبوذية فقد اعتمدنا على الأصول الموجودة في المراجع، حيث أنه لا يوجد كتاب واحد معروف لأتباع هاتين الديانتين في كل أنحاء العالم.. أما عن الديانة الهندوسية فقد اعتمدنا أساسا على "البهاجفادجيتا" وعلى بعض قليل من أقوال المعلم الروحي "ساي بابا"، وفي الديانة اليهودية

كان اعتمادنا أساسا على "العهد القديم"، وفي المسيحية على "العهد الجديد" (الأناجيل الأربعة)، وفي الديانة الإسلامية ارتكزنا على القرآن الكريم والسنة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المعروفة لكل المسلمين..

إن هذا العمل لا ينتمي بشكل مباشر إلى مجال مقارنة الأديان والتي يكون الهدف من وراء المقارنة إيجاد أوجه التشابه والاختلاف بين تلك الأديان ، كما أننا لم نستهدف دراسة وعرض أي ديانة معينة بشكل مفصل لذاته، إنما ظل اهتمامنا كامنا في إثبات أن "دين الفطرة" أو "الطريق" الذي يقود الإنسان لكسب حياته على هذه الأرض قد عبَّر عن نفسه بشكل أو بآخر في كل الديانات.. كذلك يجدر بنا القول أن هذا العمل ليس تقييما نريد من خلاله إثبات أنه يجب قبول كل الديانات بالتساوي، فعملنا ليس الهدف منه الحكم على الديانات بأي شكل من الأشكال، ولكنه محاولة لتتبع المبادئ الأساسية لدين الفطرة في كل الديانات وإلقاء الضوء عليها، حتى يدرك البشر أن كل الديانات وكلمات الحكمة إنما هي مساعدة للجنس البشري على أن يجعل لحياته معنى وهدفا، وأن يدركوا بأنفسهم أن النظرة المتعمقة لهذه الديانات ستجعلهم يقتربون إلى بعضهم البعض أكثر، ويتعاونون معا، لأنهم في جوهرهم إنسان واحد، والقانون الذي يخضعون له قانون واحد، كما أنهم يستطيعون أن يدركوا وحدة الإرشاد الإلهي، مما يمكنهم من تجاوز مفهوم تعالي دين على الدين الآخر، وبذلك تتاح لهم فرصة الاستفادة والتعلم من بعضهم البعض..

نحن نعتقد أننا قد أنجزنا هدفنا نسبيا، وها نحن نقدمه إلى القراء كاستهلال لهذا الحوار المقترح، ذلك هو نصيبنا من هذا الحوار الذي نبدأه، ونريد من كل إخواننا وأخواتنا في جميع أنحاء العالم، والذين ينتمون إلى ديانة أو أخرى من هذه الديانات ، أو حتى هؤلاء الذين لا ينتمون إلى أي ديانة ولكن لديهم الاهتمام أن يتقدموا ويشاركوا في الحوار، وإننا واثقون أنهم سيكونون بمشاركتهم مصدرا لإثراء معارفنا عن دين الفطرة، ويظل الشرط الوحيد المسبق لهذه المشاركة، هو القناعة الكاملة بأن الحب، والمعرفة، والحرية هي التي ستجعل من وحدتنا مصدرا للتكامل بلا حدود وعلى كافة المستويات.

علي

علياء و عائشة

رافع

الفصل الأول

كل الديانات تدعو الإنسان للإيمان بالقوة العليا المبدعة للقانون الإلهي، إيمانا يحرره من عبودية حياة زائفة ويربطه بمصدر الحق الموجود فيه ومن حوله

عندما يعي الإنسان وجود القوة العليا التي يعمل من خلالها القانون السرمدي للحياة، ويؤمن بها، فإنه يرى القانون فعالا وساريا في كل ما حوله، ويتفهم أن السماوات والأرض خلقت وفقا لهذا القانون ومن أجل سبب وهدف و لم تخلق سدى، فإذا ما لاحظ الإنسان القانون الساري في الحياة الطبيعية جيدا، فإنه سيجد أن كل شيء في الطبيعة من حوله يعبر عن وجود هذه القوة العليا ويشير إليها.

كل الديانات تدعو الإنسان لإدراك النظام الكوني في العالم الطبيعي من حوله، ذلك لأنه من خلال هذا الوعي يتحقق الإنسان من وجود قانون واحد يحكم الطبيعة، فيحفز ذلك همته للتفكر في مصدر هذا القانون، وهو القوة العليا الفاعلة وراء هذا العالم المرئي بأسره، إنه إذا ما انحصر فهم الإنسان في أن هذا العالم محكوم بقوى متفرقة، متصارعة، فإنه لا يستطيع رؤية القانون الكلي الواحد الفعال من وراء هذه القوى، ذلك لأن إدراك وجود نظام كوني يؤدي للإيمان بالقانون السرمدي. إن إدراك القانون هو عقيدة ومعرفة في الآن الواحد، فالإيمان بوجود قوانين طبيعية تحكم هذا الكون هو الذي مكن العلماء أولا وأخيرا من اكتشاف هذه القوانين، وإن التطور والتراكم المعرفي هو الذي دفع الإنسان لطرح المزيد من التساؤلات حول ماهية هذا الكون والقوانين التي تحكمه، وكلما زادت المعارف زاد يقين الإنسان وتعطشه لمعرفة أكبر وأوسع إلى مالا نهاية..

إن الإنسان يخطئ خطأ فادحا إذا ما تصور للحظة أن ما يراه من هذا الكون هو كل ما يمكن معرفته، أو أن المعرفة محدودة بما يمكن قياسه ماديا، إن مثل هذه الادعاءات تحول بينه وبين الإيمان بالغيب المتعالي وتصرف اهتمامه عن ضرورة الارتباط بالقوة العليا الكامنة من وراء كل ما يراه، فالإنسان قادر بطبيعته على الإحساس بوجود الغيب غير المرئي، وهو بحاجة إلى هذه التجربة التي تكشف له عن الوعي بأن النظام الكامن في العالم الطبيعي يشير إلى القانون الإلهي، فبينما يكون العقل أداة لفهم العالم الفيزيقي، فالقلب هو الوسيلة التي يتذوق بها الإنسان وجود القانون الإلهي، فالقانون الإلهي أسمى وأعظم من كل مشهود، وسيظل دائما متعاليا، وإذا ما أعطى الإنسان لنفسه فرصة التأمل في وجوده لانبثق داخله الوعي بذلك القانون، ولدفعه ذلك دفعا لتفهم الهدف من وراء وجوده، ومثل هذا الإدراك يحرره تماما من الأوهام.

إن الديانات هي التي تؤازر الإنسان وتضيء له الطريق في رحلته الأرضية، فهي من ناحية توقظ وعيه وتنبهه لمصدر كل شيء في الكون وهو القوة العليا المستترة من وراء كل شيء، ومن ناحية أخرى تساعده على كشف الجانب المقدس الكامن في داخله، ذلك لأن الكشف عن هذا الجانب هو الذي يجعله قادرا على التحرر من أوهامه وخيالاته، تلك الأوهام تكون نتيجة طبيعية لإضفاء قيمة على أشياء لا قيمة لها، وإهمال أشياء لها قيمة كبرى. والتحرر من هذه الأوهام يتطلب درجة من الطهر تساعد على حسن التمييز بين ما هو حقيقي وما هو زائف، وبذلك تسقط عنه الحجب فتظهر الحقيقة. إن الإنسان يحمل بين جنباته كنزا إلهيا ثمينا ووجود الكنز داخله هو سر مكانته المتميزة في هذا الكون، ولذا أعطي القدرة والمكنة على معرفة الحق فيه وفي الكون من حوله..

إن الإرشاد الديني للإنسان والذي يحثه على ربط نفسه بالقوة العليا الموجودة في هذا الكون، يعلمه في نفس الوقت كيف يسلم نفسه تماما لقانون الحياة، وهذا التسليم بالطاعة والامتثال لا يحمل بين طياته قهرا بل العكس تماما، فهو من خلال تسليم نفسه لقانون الحياة السرمدي، يصبح حرا، وهذا تناظر وتشابه يمكن استنتاجه من ملاحظة النمو الطبيعي للنبات الذي إذا ما انتهك القانون الطبيعي له من حاجته للماء والتربة الصالحة فإنه يذبل ويموت، وكذلك الإنسان إذا ما خضع لقوى وهمية من تخيله فإنه يفقد الوصلة مع مصدر الحياة، بينما يصير جزءا لا يتجزأ من قوى الحياة الخلاقة إذا ما ترنم في قيامه مع هذا القانون، بل

ويصبح عبدا لله وكلمة له، يصبح "رع"، "بوذا"، أو "طاو".

إن المعتقدات المصرية القديمة، وكذلك المعتقدات الطاوية والهندوسية والبوذية وكذلك اليهودية والمسيحية والإسلام، ترشد الإنسان للإيمان بهذه القوة العليا، وإن كانت كل منها تطلق على هذه القوة اسما يخالف الأخرى، إلا أن كل هذه الأسماء تشير في النهاية إلى نفس هذه القوة التي انبثق منها الكون وصار له وجود.

المصريون القدماء

لقد أدرك قدماء المصريين أن هناك قانونا كونيا يحكم هذا العالم، وجاء هذا الإدراك من خلال تأملهم للطبيعة، فالدرس الذي استنبطوه من استصلاحهم لأرضهم وزراعتها، جعلهم في مكنة من استصلاح أرض نفوسهم وزراعتها بالخير توافقا منهم مع قانون الحياة الطبيعي، وكانت عقيدتهم القوية بوجود قانون يحكم هذا الكون سببا لانفتاح الأفق أمامهم للتعلم عن مستقبل حياتهم بعد هذه الأرض، وعندما تحققوا من أن ظاهرة الموت الفيزيقي ليست بحال من الأحوال نهاية للحياة الإنسانية، أدركوا من فورهم أن هناك بعدا غيبيا لكل ما هو مشهود. إن الإدراك عن وجود القانون الطبيعي ووجود الغيب كان أساسا لعقيدتهم في وجود عمق مقدس من وراء مظهر الأشياء:

"لقد أطلق المصريون على القوة العليا التي خلقت الأرض والسماوات والبحار، وخلقت الرجال والنساء والحيوانات والطيور والزواحف، بل وكل ما هو موجود وما سوف يوجد، اسم "نتر" (Budge: Ixxxiii).

الاسم "نتر" يرمز إلى معاني كل ما هو إلهي، قوي، ومقدس، كذلك هناك تعريف آخر لهذا الاسم يعني: القوة الخلاقة التي انبثقت منها حياة المخلوقات، والتي يتكرر صنيعها في الخلق بصفة منتظمة، تلك القوة التي تهب الحياة للمخلوقات وتمنحهم فرصة التواجد من جديد. ولم تستعمل كلمة (نترو) –وهي الترجمة الشائعة لكلمة "نتر" بصيغة الجمع– للدلالة على وجود أكثر من قوة تحكم هذا الكون، بل بالأحرى أن هذه الكلمة استعملت للدلالة على "تجليات" الواحد في مظاهره المختلفة، أو الصفات المنسوبة إلى القوة الغيبية، فكل استعمال للفظ (نتر) إنما يُبرز "تجليا" من تجليات القانون الإلهي السرمدي، فهناك بعض النصوص التي تؤكد أحدية وواحدية مصدر الوجود الحقي كما يوضحه لنا النص التالي:

"الله أحد وواحد، ولا وجود لأحد معه.. الله الواحد هو خالق كل شيء.. الله هو الروح.. الروح الخفي.. روح أرواح المصريين.. الروح المقدس.. الله هو الأول.. ووجـــوده أولي.. قديم سابق لكل الكائنات.. كان موجودا ولا شيء معه ثم خلق الخلق.. هو أبدي.. سيظل اسمه غيبا.. بل إن اسمه سر خفي عن أولاده من خلقه.. إن أسماءه لانهائية.. ولا أحد يستطيع أن يحصي عدد أسمائه" (Budge: xcii).

"الله هو الحق.. الحق الحي.. الذي غذانا وأمدنا بالحق بعد ذلك.. الله هو الملك الحق الـذي خلق الأرض.. الله هو الحياة.. ومن خلال قيوميته بالحياة يحيا الإنسان.. الله أعطى الحيـاة للإنسان.. ونفخ فيه الحياة.. الله هو الذي أوجد نفسه وخلقها.. ولم يخلقه أحـد.." (Budge xcii).

لقد نسب المصريون كمال القانون الذي يحكم هذا الكون إلى قـــوة "مـاعت" "Maat". و"ماعت" لفظ لكلمة لها تعريفات عديدة، فهو يعني (الحقيقة) وكذلك يرمز إلى (العدالـــة التامة) وكذلك إلى (القانون الإلهي)، هو لفظ يرمز إلى القانون الذي به خلق كـــل شـــيء وتمت صياغته. "ماعت" لفظ يدل على البعد المقدس الذي لا ينظم الحياة المادية فحسب، بل -وهو الأهم- يظهر بجلاء كيف يمكن أن يتطور الإنسان روحيا، فالتحرر بالنسبة للمصريين هو الحياة وفقا للقانون الأخلاقي "ماعت". هذا التطور الروحي مرهون بعيـــش الإنســـان مترنما مع المبادئ الأخلاقية أثناء وجوده على هذه الأرض، لقد تحقق المصريون القدامى مـــن أحدية مصدر الوجود، ليس كنتيجة عقلية ناتجة عن المراقبة والتأمل بل من تجربة حياة واقعية جعلت من كل أعمالهم وسيلة للارتباط بالمقدس، بالقوة العليا الكونية، فكان كل نشاط لهم على هذه الأرض يقصد به الاستعداد لحياتهم الأخروية، وكان ذلك نابعا من إيمـــانهم بـــأن الإنسان إذا ما تعايش وفقا للقانون الأخلاقي يكون قادرا بلا شك على تحول روحي يجعلـه جزءا من هذا الكون، أي "نجما ذهبيا" ليلحق بـــ "رع" ويبحر معه في مركبه السماوي عبر ملايين السنين، وذلك في حد ذاته يمثل تحررا له كاملا.

الطـــاويــــة

الطاوية تقوم أساسا على الإيمان بوجود "طاقة كونية مبدعة وأصيلة لا يمكن سبر غورهـــا أو الإحاطة بها تكمن من وراء الزمان والمكان، وتحوي كل الوجود، وما ليس بوجـــود، مـــع

كونها ليست الوجود ولا غير الوجود" (Hua Ching Ni 1997:13) ولفظ "طاو" (Tao) هـو الاسم الذي أطلق على هذه الطاقة، ولا يوجد كلمة واحدة يمكن بها وصف الـ"طـاو"، وإنما استخدمت كلمات كثيرة للتعبير عنه مثل: "الطريق" أو "القانون" أو "الأعلى".

"لقد كشف القدماء المتحققون (روحيا) عن الحقيقة المؤكدة وهي أن الكون لـه بعـدان، أحدهما هو الغير مرئي، الواحد الذي لا انقسام فيه، اللانهائي، الموجود قبل خلق السماوات والأرض، الذي فيه تكمن الطاقة الأولية، الكاملة، الكلية للكون، والبعد الثاني هو المشهود، القابل للإدراك، المتكاثر، الذي خلق بعد خلق السماوات والأرض. وبرغم وجود بعدين أو مستويين، أحدهما متجل ظاهر، والآخر خفي غيبي، إلا أنهما في الحقيقة واحد" (Hua Ching Ni 1997:13).

إن الفكرة الأساسية في الطاوية تنحصر في واحدية الكون مع وجود بعدين لـه، أحدهما مرئي، والآخر غير مرئي. والبعد غير المرئي للوجود هو ما نطلق عليه "غيبا"، وكونه غيبا لا يعني انفصاله عن المشهود، وإنما المعنى المراد، هو أن المشهود هو جزء مما هو غير مشهود، ومن ناحية أخرى فإن الواحدية مبدأ أكبر مما يظهر في عالم التعدد الخاضع للتجربة المادية:

"الإنسان يتبع في سعيه عالم الأرض، وعالم الأرض يتبع في سعيه عوالم السماء، وعوالم السماء تتبع في سعيها عالم الـ"طاو" الأبدي، والطاو يتبع طبيعته الذاتية"
(Tao Tai Ching).

إن الطاو يتحلى بنفسه من خلال التعبير الدائم في عملية الخلق الدائمة، حيث التقابل والتناقض عوامل جوهرية موجودة في عالم الكثرة، وأطلق على التقابل لفظ "ين" وعلى التناقض لفظ "يانج"، ومع أن كلا منهما عكس الآخر إلا إن كلا منهما مكمل للآخر وجاذب له، وتواجدهما معا جوهري في هذا العالم الذي نعيش فيه، فلا يوجد شيء مصبوغ تماما بصبغة "ين" أو "يانج" على حدة. وحيث يمثل "يانج" الطاقة الموجبة، فإن "ين" يمثل الطاقة السالبة، ووجودهما معا يجعل الحياة ممكنة.. السماء والأرض، الرجل والمرأة، النهار والليل، النور والظلام، الشرق والغرب، الشمال والجنوب، و هلم جرا.

يحتل الإنسان في الطاوية مكانة خاصة، فهو يجلس أعلى سلم النشوء والارتقاء، ذلك لأنه

يجمع في قيامه بين الطاقة الموجبة "يانج" والسالبة "ين" على المستويين المـادي والروحـي، الكثيف واللطيف، لأن هذه الطاقة كاملة ومتزنة، فإن شبكة الطاقة الكامنة في الإنسـان، تماثل تماما الطاقة الموجودة في الكون بأسره، ولكنه مع ذلك قادر على تشويش هذه الطبيعة الفطرية الموجودة فيه بوسائل مختلفة، فالناس مثلا تميل إلى الاهتمام بالجانب المادي فيهم على حساب الجانب الروحي، وبذلك يخسروا ويفسدوا اتزان القانون الموجود فيـهم أي الـ "طاو"، ومع ذلك يظل الإنسان قادرا على المحافظة على اتزانه إذا ما ربط نفسه بالقـانون وتعانق معه، وعندها يتوحد مع الـ"طاو" مصدر كل حياة. (Hua Ching Ni, 1997:37-38).

"دون الخروج من الباب يستطيع الإنسان أن يعي كل ما يحدث تحـت قبـة السماء، وبدون النظر من النافذة يبصر الإنسان طريقه"

.(Hua Ching Ni, 1997: 38)

الهندوسيـة

أشارت (الجيتا) إلى القوة العليا الموجودة في الكون عندما علمت عن "براهما" والذي يرمـز اسمه إلى "المجرد" أو "السبب الأول" للوجود لكل موجود، الكائن من وراء المادة والشـكل. كذلك أشارت إلى كونه الأبدي، اللانهائي، والوجود الواعي المعتقد فيه أنه الوسيلة، كما أنه الهدف المنشود، جوهر وخلاصة الأشياء، والذي لا يمكن الاستدلال عليه من شيء، أو حتى من مجموع الأشياء.. والأسماء الثلاثة التي ينطوي عليها اسم "براهما" وترمز إليه هـي (أوم- تات- سات) الاسم "أوم" يرمز إلى تفوقه التام، والاسم "تات" يرمز إلى الشمولية الكليـة، والاسم "سات" يرمز إلى الحقيقة، وفي نصوص (الجيتا) نستشهد بقول "براهما":

"أنا الطعم في الماء، أنا النور في الشمس والقمر، أنا المقطع اللفظـي "أوم" في كل الفيدات، أنا الصوت في الأثير، ومعاني الإنسانية في الإنسان، أنا الأريـج في الأرض، والبريق في النار، أنا النار الكامنة في كل الكائنات، والتقشـف في تقشف الزاهد، وأنا في الكائنات الرغبة التي لا تناقض القانون. اعلم أن كـل شيء هو مني، ولم أخلق أنا من شيء"

.(Gita:7:8-12)

في الهندوسية القوة العليا أي خالق القانون الأبدي، هو أيضا متعال عن كل شيء:

"أنت الباقي الأعلى عن الإدراك"

"أنت المطلق، الذي تسكن لديه جميع الكائنات"

"أنت الذي لا يموت، حافظ القانون السرمدي"

"يا واحد يا ممجد يا من هو أعظم من براهما، يا خالق كل شيء"

"أيها اللانهائي الموجود واللاموجود، وما وراء ذلك كله"

(Gita:11:18, 37).

الإدراك عن "براهما" هو ما يقود الإنسان إلى الخلاص، والإدراك السليم عنه يمكن الإنسان من التناغم معه، ذلك هو السبيل إلى التحرر، والإنسان الحر لا يرتبط بأي وجود وهمي مزيف، بل يصل نفسه بـ "براهما" وحده مخلصا إخلاصا تاما:

" حتى يكسب معنى التناغم الكامل فطلبه أن يلوذ بي وحدي كهدفه الأسمى"

(Gita:7:18).

"بالإخلاص يبلغ معرفتي، ويعرف قانوني، ومن أنا في الحقيقة، وبمعرفته لي كحقيقة يدخل في"

(Gita:18:55).

"عندما يثبت عقلك جيدا على طريق التخلي سوف تتحرر تماما وتكسبني هؤلاء الذين يخلصون في عبادتي، هم فيّ، وأنا أيضا فيهم"

(Gita:9:28, 29).

وعلى ذلك فإن التسليم الكامل للقانون السرمدي في الهندوسية، أو الإخلاص لـ "براهما" يقود الإنسان إلى التحرر من القيود التي يفرضها الوجود المؤقت أثناء هذه الحياة.

البوذية

في البوذية يشير تعبير "الحقيقة الكونية" أو "الجوهر الواحد" إلى القوة العليا، فـ"الحقيقة" هي جوهر كل شيء، وبدون "الحقيقة" ينتفي وجود القانون. وتظل "الحقيقة" فوق كل القوانين:

" إن كل الأشياء مصدرها جوهر واحد ولذلك فهي تتطور وفقا لقانون واحد، وهي في صيرورة إلى هدف واحد، ألا وهو الوصول إلى النرفانا"

(GB:55:2,3,4).

"القانون فعّال في كل الأشياء المتغيرة، وعندما تبصر القانون فإنك في الواقع تبصر الحقيقة"

(GB:3:2).

إن "طريق" بوذا هو الذي يُعلِمّ الإنسان كيف يستشعر ما وراء الظاهر ويتحرر من سجن كل ما هو موقوت وزائل في هذه الحياة. و"النرفانا" هي الغاية والهدف النهائي الأسمى الذي يدركه الإنسان بإتباع قانون التطور، فـ"النرفانا" تحرر كامل، واستنارة روحية. إذا ما بلغ الإنسان الـ"نرفانا" يستطيع أن يحل لغز الوجود غير الكامل، ويكون قادرا على رؤية كل الأشياء متكاملة في الواحد الأحد. عندئذ يزول التعدد ويسود التوحد، ويتحرر الإنسان من الأوهام، وبتحرره يصبح فوق الميلاد، والشيخوخة، والموت، وعندئذ يتخلص الإنسان من المعاناة الناجمة عن الجهل بالمعنى الحقيقي للحياة.

"سوف تبلغ النرفانا يا (كسابا) عندما تتمكن جيدا من الفهم، وتعيش وفقا لفهمك بأن كل الأشياء تنتمي في حقيقتها إلى جوهر واحد، وأن هناك قانونا واحدا، ولذلك فهناك نرفانا واحدة، وحقيقة واحدة، لا اثنين أو ثلاثة"

(GB:55:5).

عندما يكون الإنسان غير متحرر روحيا لا تتخطى رؤيته للأشياء الإحساس بالاثنينية، حيث يظن أن لكل الأشياء وجودا ذاتيا منفصلا عن الكل، فنظرته تنحصر في المحدود، وهذه النظرة المزدوجة يوجهها إلى كل الأشياء فيحسبها موجدة نفسها بنفسها، وأن لها وجودا مستقلا بذاته. وهكذا إذا ما تأثر الإنسان بالازدواجية أو الاثنينية فإنه يرى كل ذات منفصلة عن الكل، والنفس منفصلة عن الآخرين، " هذا" و "ذاك"، ويفقد القدرة على تمييز الحقيقة الواحدة، والقانون الواحد، والهدف الواحد الأعلى وراء ذلك كله، فيسجن نفسه في عالم المحدود، ولا يستطيع أن يحقق الحرية أي الـ"نرفانا"، أو الاستنارة أي الحياة الحقيقية.

"وحده الذي ينسب نفسه إلى الحقيقة يبلغ النرفانا، ومن بلغ النرفانا كسب بوذا، فحقق مكانة عالية، وصار باقيا لا يموت"

(GB:2:18).

في البوذية يوصف الإنسان بأنه في أصله "ومضة من نور الحقيقة، وتلك الومضة هي الخطوة الأولى في المعراج إلى أعلى"(GB:4:5) ، ويجب عليه أن يحافظ على طبيعته الحقيقية بجهاده حتى

يتمكن من بلوغ طبيعة "بوذا":

> "إن أي جزء من قلبك غير قابل لأن يرقى ويتطور ليتحول إلى "بوذا" سيهلك حتما، فهو لا يعدو أن يكون وهما وزيفا، وهو مصدر خطاياك وسبب شقائك"
>
> . (GB:2:13)

العهد القديم

يشتمل العهد القديم على رسالات الأنبياء التي تدعو الإنسان إلى تجاوز مظاهر التعدد حتى يمكنه إدراك وجود الوحدة والنظام الكوني الكامن من وراء ذلك التعدد، فذلك هو سبيله لإدراك وجود قوة غيبية عليا. هذه القوة العليا هي ما يُشار إليها بلفظ "الإله"، ورغم أن الله يتجلى في خلقه فهو يظل غيبا فوق كل معرفة أو إدراك، وإذا لم يدرك الإنسان هذه الحقيقة فإنه يقع فريسة الخلط بين الله وبين تجلياته، أو يتشتت بين هذه التجليات ليفقد الوعي بوجود الواحد الأحد الأعلى والباطن وراء كل ظاهر.

كلمة "التوراة" تعني القانون، والإرشاد الذي حمله "موسى" عليه السلام لشعبه كان يدعوهم لإدراك القانون الإلهي الذي يحكم كل شيء. إن الوصايا العشر نفسها تكشف عن القانون الأخلاقي الذي يؤمن به الكون كله، ولقد أبرز موسى عليه السلام خلاصة هذا القانون عندما قال: "إن طلبتم من هناك الرب إلهكم ملتمسينه من كل قلوبكم ونفوسكم، فإنكم تجدونه" (التثنية: ٤: ٢٩).

إن البُعد الغيبي لله أكدته التوراة بشدة، ولقد حذر موسى عليه السلام شعبه من رسم الصور للوجود الإلهي، أو تجسيمه، وأشار إلى أن رسم الصور للرب معنويا أو ماديا يعتبر خطأً فادحا لأن في ذلك تحديدا لغير المحدود، وقياسا لما هو أبدي ومطلق وكامل بمعايير ما هو عابر، ونسبي، وناقص. إن ذلك الخطأ يُفقد الإنسان الصلة بما هو حقيقي مقدس. وعندما سأل موسى عليه السلام ربه أن يعُرفه بما يجيب به بني إسرائيل إذا ما سألوه عن اسم الرب أجابه: "أهيَهُ الذي أهيَهْ" ومعناه (أنا الكائن الدائم) وأضاف :"هكذا تقول لبني إسرائيل :أهيَهْ (أنا الكائن)، هو الذي أرسلني إليكم" وقال أيضا لموسى عليه السلام: هكذا تقول لشعب إسرائيل: إن الرب "الكائن إله آبائكم، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب قد أرسلني إليكم، هذا هو اسمي إلى الأبد، وهو الاسم الذي أُدعى به من جيل إلى جيل.. (الخروج: ٣: ١٤، ١٥).

وفي إرشاد واضح أكد موسى عليه السلام البعد الغيبي لله المتعالي بقوله: "فاحذروا لأنفسكم جدا، فأنتم لم تروا صورة ما حين خاطبكم الرب في جبل حوريب من وسط النار. لئلا تفسدوا فتنحتوا لكم تمثالا لصورة ما لمثال رجل أو امرأة، أو شبه بهيمة ما مما على الأرض، أو شبه طير ما من طيور السماء، أو شبه كائن ما من زواحف الأرض، أو شبه سمك ما مما في الماء تحت الأرض، أو لئلا تتطلعوا إلى السماء فتشاهدوا الشمس والقمر والنجوم والأجرام السماوية التي وزعها الرب "إلهكم على جميع الأمم التي تحت السماء، فتغووا وتسجدوا لها وتعبدوها" (التثنية: ٤: ١٥-١٩).

وقبل أن ينتقل موسى عليه السلام إلى جوار ربه بفترة وجيزة، أعاد على مسامع قومه "كلام الرب"، وذلك بتذكيرهم بالوصايا العشر التي تعتبر الثلاثة الأولى فيها أساس الدعوة: يجب أن تعلموا أن الله، الرب، القوة المقدسة، تتعالى عن كل صورة قد ترسمونها لها.

إن الإنسان يتميز بين المخلوقات بقدرته على إدراك وجود الخالق وعبادته، ومن خلال تلك العبودية تتحقق حريته، ويخبر وجود المقدس من داخله. لقد أقر العهد القديم مبكرا تلك الحقيقة:

"قال الرب : "لنصنع الإنسان على صورتنا، كمثالنا، فيتسلط على سمك البحر، وعلى طير السماء وعلى الأرض، وعلى كل زاحف يزحف عليها، فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه ذكر أو أنثى خلقهم" (التكوين: ١ :٢٦-٢٧).

وقال موسى عليه السلام لشعبه "فالآن أيها الإسرائيليون ماذا يطلب منكم الرب إلهكم سوى أن تتقوه، وتسلكوا في كل طرقه، وتحبوه، وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم" (التثنية: ١٠: ١٢).

إن عبادة الرب في الكتاب المقدس تعني أن يكون الإنسان حرا تماما من عبادة أي مظهر من مظاهر الحياة الموقوتة، والحرية بهذا المعنى تكتسب عن طريق فهم الإنسان لعلاقته بربه، وهذا الإخلاص لله وحده يتضمن في الأساس احترام الإنسان لأصله المقدس وذلك بأن يجعل نفسه مفتوحا دائما لاستقبال محبة الله ومدده.

العهد الجديد

يؤكد السيد المسيح عليه السلام على البعد الغيبي لله عندما يقول لحوارييه: "ولا تدعو أحدا

على الأرض أبا لكم، لأن أباكم واحد، وهو الأب الذي في السماوات (متى: ٢٣: ٩). وفي صلاته التي علمهم إياها يقول: "تقدس اسمك"، وفي ذلك إرشاد لحوارييه أن يتذكروا دائما أن الله متعال، مطلق وصمد.

عندما أخبر يسوع عليه السلام حوارييه أن يتأملوا الطيور في الهواء، وزهور السوسن في الحدائق، وكيف يكسو الرب الأرض بالخضرة، إنما كان في الواقع يجذب انتباههم للقانون الإلهي الذي يمد كل المخلوقات بأسباب الحياة.

> "لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لألغي بل لأكمل.
> فالحق أقول لكم: إلى أن تزول الأرض والسماء لن يزول حرف واحد أو
> نقطة واحدة من الشريعة حتى يتم كل شيء"
> (متى: ٥: ١٧-١٨).

إن الإدراك بوجود مصدر واحد للوجود بأسره، إنما ينعكس على الإنسان في علاقته بالعالم من حوله. وإيمان الإنسان بالقوة العليا يعني أنه لا يعبد الأشياء المادية المحدودة، أو آلهة مزيفة، إنما يعبد الواحد الأحد. ويقول المسيح عليه السلام: "لا يمكن لأحد أن يكون عبدا لسيدين: لأنه إما أن يبغض أحدهما فيحب الآخر، وإما أن يلزم أحدهما فيهجر الآخر. لا يمكنكم أن تكونوا عبيدا لله والمال معا" (متى: ٦: ٢٤).

لقد أرشد عيسى عليه السلام أتباعه إلى ضرورة إدراك المعنى المقدس في أنفسهم للتخلص من محدوديتهم، وأطلق عيسى اسم (مملكة السماء) على المعنى المقدس داخل الإنسان:

> "وفيما أنتم ذاهبون، بشروا قائلين :قد اقترب ملكوت السماوات"
> (متى: ١٠: ٧).

> " ولا يقال ها هو هنا، أو: ها هو هناك! فها إن ملكوت الله داخلكم"
> (لوقا: ١٧: ٢١).

> "يشبه ملكوت السماوات بخميرة أخذتها امرأة وأخفتها في ثلاثة مقادير من
> الدقيق، حتى اختمر العجين كله"
> (متى: ١٣: ٣٣).

"يشبَّه ملكوت السماوات بإنسان زرع زرعا جيدا في حقله"

(متى: ١٣: ٢٤).

"والحقل هو العالم. والزرع الجيد هو بنو الملكوت"

(متى: ١٣: ٣٨).

لو آمن الناس بعيسى عليه السلام وتابعوا إرشاده وكلماته، لتحرروا كما أخبرهم بذلك:

"إن ثبتم في كلمتي كنتم حقا تلاميذي. وتعرفون الحق والحق يحرركم"

(يوحنا: ٨: ٣١-٣٢) .

الإســـــلام

إن الإيمان بالقانون الإلهي مؤكد عليه في القرآن الكريم في إشارات عديدة..

"إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ"

(القمر:٥٤: ٤٩) .

"وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ"

(الرحمن: ٥٥: ٧) .

إن الله فوق كل شيء، ومن وراء كل شيء، لذلك يجب ألا يتورط الإنسان في رسم صورة له، أرشد لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوصي متابعيه بـالتفكر في آلاء الله لا في ذاته. فالله حاضر في كل الوجود، ومع ذلك لا تدركه الأبصار، والله موجود في كـل مكان ومع ذلك فهو ليس في مكان محدد:

"لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"

(الأنعام:٦: ١٠٣) .

"وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ"

(البقرة: ٢: ١١٥) .

"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا"

(الإسراء: ١٧: ٤٣).

"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ"

(الأنعام: ٦: ١٠٠) .

"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"

(النحل: ١٦: ١).

"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"

(الشورى: ٤٢: ١١).

الإسلام يدعو الناس للتأمل الدقيق في الطبيعة من حولهم، حتى يدركوا أن أي شيء قد خُلق لسبب وهدف، ويدركوا وجود النظام الكوني فيشعروا بوجود الخالق الواحد، الذي هو فوق كل شيء، ومن وراء كل شيء:

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ"

(آل عمران: ٣: ١٩٠)

"وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"

(الدخان: ٤٤: ٣٨-٣٩)

"الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"

(آل عمران: ٣: ١٩١)

"هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"

(يونس: ١٠: ٥)

"إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ"

(يونس: ١٠:٦)

"قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ"

(العنكبوت: ٢٩:٢٠).

إن الإيمان بالنظام الكوني، وبالقانون السرمدي، هو المدخل إلى الإيمان بوحدانية الله، ذلك الإيمان الذي يشير ضمنا إلى أحدية مصدر الحياة.

"اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"

(البقرة: ٢:٢٥٥).

باستطاعة الإنسان أن يدرك تجريدا أن كل حدث صغير أو كبير في هذا الكون يحدث وفقا للقانون الإلهي، وأن الإرادة الإلهية كامنة في هذا القانون الذي يُسيِّر كل شيء، ولا أحد يمكنه خرق هذا القانون الذي يعمل من وراء الخير والشر، بل ومن وراء كل المتناقضات.

"يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ"

(لقمان: ٣١: ١٦).

"أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ"

(لقمان:٣١: ٢٠).

عندما ينتهك الإنسان قانون النمو الروحي، ويسيء استخدام إمكانياته الروحية فإنه يفقد القدرة على التطور الروحي، فيذبل ويموت، ذلك لأن الله عندما خلق الإنسان لينمو ويتطور روحيا، أعطاه أيضا حرية الاختيار، ذلك جزء لا يتجزأ من القانون نفسه. وإرادة الإنسان أيا كانت لا تخرق القانون الإلهي، إنما هي تتعارض أحيانا مع قوانين التطور الروحي، أما القانون الإلهي فهو من وراء كل شيء محيط.

على هذا الأساس، ورغم أنه من المستحيل تماما أن يحدث شيء مخالف لقانون الحياة السرمدي، إلا أنه على المستوى الإنساني، الإنسان مسئول مسئولية كاملة عن حركاته وتصرفاته، فإذا ما اختار طريق النمو الروحي، فإنه يسلم نفسه تماما للقانون حتى يعمل القانون من خلاله. فالنمو الروحي لا يحدث عشوائيا، بل من خلال القانون. ولكي ينمو الإنسان روحيا عليه أن يصل نفسه بمصدر الحياة، ومن خلال هذه الصلة يتحرر تماما من القوى التي يمكن أن تملكه.

"اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّـــورِ وَالَّذِيـــنَ كَفَـــرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّـــارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"

(البقرة: ٢:٢٥٧).

عندما يسلّم الإنسان نفسه تماما لله يكسب حريته، ويحقق الهدف من وجوده كخليفـــة لله على الأرض. إن الله وهب الإنسان بعضا من سر ربوبيته حين علمه الأسماء كلها، وأعطاه ميثاقه، ومنحه الأمانة.

"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا"

(الأحزاب: ٣٣:٧٢)

"وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي"

(طه: ٢٠: ٣٩)

إن وجود ذلك الجانب المقدس هو الكنز الذي أودعه الله روح الإنسان منذ بدء الخليقـــة، ثم أُمِر الإنسان بأن يعطي وجوده كله للقوة الإلهية العليا، متغلبا على كل العناصر التي تحـــول دون ذلك . ويقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي: " وما يـــزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الـــذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها"[٢] . وذلك كقول الحق في كتابه الكريم:

"وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي"

(طه: ٢٠:٤١).

---

[٢] رواه البخاري

الخلاصة

أشارت معظم الديانات والرسالات السماوية إلى وجود القانون الإلهي، ونسبت عملية الخلق إلى مصدر علوي واحد، و قد أطلقت على هذا الأصل الواحد أسماء متعددة : (تتر، طـاو، براهما، الرب، الله). ووصفت الرسالات هذا المصدر الواحد بأنه عظيم، صمدي متعــال، باق، مقدس، موجود في كل الوجود، وأعلى من كل وجود، وهو المحيط بكل شيء. ونحـن نطلق عليه في هذا الكتاب "القوة العليا".

صدّق الإسلام على ما أرشدت إليه الديانات الأخرى بشأن هذه القوة العليا، أي عــن الله. ولقد جاء الإسلام ليبين بالتفصيل علاقة الإنسان بالله. فحتى يحقق الإنسان هدفه الكلي مــن الحياة وهو أن يكون عبدا لله عليه أن يعيش مترنما مع قانون الحياة الإلهي. فالتســليم لله، أو العبودية لله تحرر الإنسان تماما من عبودية كل ما هو مقيد وموقوت ونسبي.

الفصل الثاني

كل الأديان تدعو الإنسان للإيمان بامتداد الحياة وترشده إلى التركيز على النمو الروحي خلال حياته الأرضية

تدعو الديانات القديمة والرسالات السماوية الإنسان إلى العمل لكسب الحياة الحقيقية. إن استعداد الإنسان لكسب تلك الحياة منسوج في فطرته العميقة، وميلاد الإنسان على هذه الأرض في حجاب مادي يجعله عرضة للغفلة عن كيانه الروحي وللتعامل مع الحياة من المنظور المادي فحسب. والديانات تكشف بوضوح أن الروح هي أصل كل وجود، وتساعد الإنسان للتغلب على الازدواجية، فهي ترشد الإنسان إلى تطهير وجوده بالكامل حتى يتمكن من أن يخْبَر ويتذوق حقيقة كونه وجودا روحيا.

علاوة على ذلك تشير الديانات جميعا إلى ضرورة إعطاء الفرصة لهذا الكيان الروحي حتى يتغذى، وذلك عن طريق تلقيه الطاقة والاستنارة الروحية من مصدر الحياة، أي القوة العليا التي تحكم هذا الوجود. لقد كشف الرسل عليهم السلام للإنسان أن وصلته بهذه القوة العليا تتعادل أهميتها-بل تفوق-ضرورة إمداد جسده بالطعام، والمأوى لأن تلك الوصلة هي التي تجعله حيا بحق. وحتى يتلقى الإنسان غذاءه الروحي يجب أن يكون على استعداد لاستقبال الاستنارة الروحية، وهذا الاستعداد يتطلب تطهرا داخليا، فالتطهر كما أوضحت الرسالات هو الإعداد المطلوب حتى يمد الإنسان داخله بالغذاء الروحي.

فكرة أن الإنسان ليس مجرد جسد، بل روح أيضا، تجعله قادرا على النظر إلى الحياة بمنظور يقلل من طغيان احتياجاته المادية بحيث لا تكون هي العامل الأكبر تأثيرا في اتخاذ قراراته، ويعظم من ثم الكيان الروحي. ولذلك دعت الديانات الإنسان لأن يعرف نفسه بحق. إن

معنى التطهر من الممكن أن يتفهمه الإنسان إذا ما أدرك الرسالة التي وراء تواجده على هذه الأرض، وعرف معنى الحياة.

لقد كشفت الديانات أن قدرة الإنسان على تلقي الطاقة الروحية من مصدر علوي مرتبطة بطهارة القلب، فعدم طهارة القلب يؤدي إلى انعدام البصيرة، وعندئذ يفقد الإنسان القدرة على إدراك أي شيء خارج العالم المادي، وكلما تنقى القلب وتطهر، ازدادت قدرة الإنسان على الاستماع إلى نداء الروح من داخله، ومن حوله، وكلما تراكم الدنس على القلب فغلظه كلما زاد عجزه عن سماع صوت الروح.

من هذا المنطلق أوضحت الديانات للإنسان أن الطهارة القلبية والنمو الروحي مرتبطان تماما، ويسيران معا يدا في يد. وبمجرد أن يكون الإنسان مؤهلا للحياة الحقيقية تصبح حياته الأرضية مرحلة ينطلق منها إلى الحياة الأبدية، التي يستكملها في أمان وسلام بعد مفارقته لحياة الأرض.

إن مفهوم ديمومة الحياة الذي يضيء الطريق للإنسان في حياته الأرضية ويقوده إلى تطهير نفسه يظهر جليا في المعتقدات المصرية القديمة، والطاوية، والهندوسية والبوذية واليهودية وكذلك في المسيحية والإسلام.

المصريون القدماء

أدرك قدماء المصريين أن الحياة مستمرة ولا تقطعها ظاهرة الموت الفيزيقي، وأن إيقاظ الضمير هو عملية تطهر مستمرة تمكن الإنسان من تحقيق حياة روحية مثمرة.

إن إدراك حقيقة أن الحياة الدنيوية لا تعدو عن كونها معبرا للحياة الآخرة، جعل قدماء المصريين يدركون أن ما يبذره الإنسان في حياته الأرضية سوف يحصده في حياته الأخروية. وعلى ذلك يجب أن يعيش الإنسان حياة أخلاقية حتى ينعم بالحياة الباقية. ولخدمة هذه الفكرة جسد المصريون القدامى معاني الشر والخير في صورة "ست" و"أوزيريس" ، لقد قُتل أزوريس رمز الخير والكرم على يد أخيه "ست"، وتمكنت إيزيس زوجته من جمع أشلاء زوجها المبعثرة، وكان ذلك سببا في بعثه. وبطريقة غامضة حملت منه ابنها "حورس" وقرر الابن الثأر لموت أبيه، وهكذا اشتعل الصراع بين حورس وست وسوف يستمر!! ذلك لأن هذا الصراع جزء لا يتجزأ من الحياة على هذه الأرض.

انطلاقا من هذه الأسطورة وصل قدماء المصريين إلى معرفة مبـــدأي الفضيلـــة والرذيلـــة، فأزوريس كرمز للفضيلة لم يمت، وواصل حياته في الآخرة، وقد صـــوروه في رســـوماتهم كممثل للعدالة الإلهية في يوم الدينونة، حيث يحكم وفقا لقواعد قانون الحق الذي يرمز لـــه بـــ"ماعت"، والذي يُرمز له في ذلك اليوم بـــ"ريشة نعامة" توضع في كفة، وقلب الإنســـان الميت في الكفة الأخرى لميزان العدالة.

لقد فكر قدماء المصريين ملياً في سر ومقصود الحياة، واعتقدوا في وجود كينونة مســـتقلة في الإنسان تظل خالدة بعد ظاهرة الموت الطبيعية، وأطلقوا عليها اسم "با"، وهـم يميزون بـــين هذه الكينونة وبين كينونة أخرى تتلاشى مع تحلل الجسد. فبينما الـــ"با" مســـتقلة تمامـــا وأبدية، فإن الـــ"كا" تكون مربوطة بـــ"النفس" أثناء تواجدها على الأرض. ولقد تحـــدث المصريون القدماء أيضا عن "القلب"، ليس على المستوى البيولوجي، ولكن على المســـتوى المجرد حيث اعتبروا أن القلب هو أساس أي توجه نحو الخير أو الشـــر، وكذلـــك عـــرّف المصريون جزءا مهما في الإنسان أطلقوا عليه اسم "كو" وهو يشير إلى "الكيان المشـــرق" أو "الأعظم" أو شيئا من هذا القبيل. ومن المفترض أن الفرق بين الـــ"با" والـــ"كو" هـــو أن الـــ"كو" هي الجزء الإلهي الملهم داخل الإنسان، وهو أعلى من أي بعد ذاتي أو شـــخصي، فهو ينتمي إلى مستوى الوجود الأعلى الموصول بالله.

الطـــاويـــة

في الطاوية تأكيد كبير على ضرورة التحقق الروحي والتطهر ، وهناك وسائل عديدة تمكّـــن الإنسان من ذلك، ولكن عليه أن يتجاوز أولاً كل ما يجذبه إلى المغريات الدنيويـــة حـــتى يتخلص من التوجهات السلبية المرتبطة بالتواجد الأرضـــي (Ching-Yuen1997:15) وبذلـــك يتحرك الإنسان لمعانقة الحق، المطلق، والحكمة الكبرى.

> "إن معانقة الحق-أي حقيقة كل ما هو كائن- هي الطريق الحاسم للتحقـــق الذاتي"
>
> .((Ching-Yuen1997:27)

تلك هي البوابة التي تؤدي إلى عالم البقاء، والطريق إليه ليس سهلا، وإنما يتطلب الثبـــات، والصدق، ومواجهة الصعوبات، ومداومة التطهر. والكلمة المستخدمة في الطاوية للتعبير عن

الطهارة المطلقة هي "الفراغ".

> "الحقيقة يمكن إدراكها من خلال "الفراغ".. إن كل الأشياء في هذا العالم لها جذور في (عالم) "الفراغ" وتصنف وفقا له"
> .(Ching-Yuen 1997:28)

إن حالة الفراغ تؤدي إلى يقظة النفس، وتذوق وجود الروح.

> "الحقيقة تُدرَك عن طريق الروح، وكل الأشياء التي وُهبت الحكمة، أيا كانت طبيعتها، لها روح. وهذا العنصر (الروح) يجب أن يتغذى داخل كل من العقل والجسد لفترات طويلة، وهو ما يمكن الإنسان من تطهير جسده، فضلا عن تطهير العالم بأسره، وحفظ قداسة كل منهما"
> .(Ching-Yuen 1997:28)

الوحدانية مبدأ غاية في الأهمية في وعي الإنسان، ولقد ركز "لاوتسو" في تعاليمه على ضرورة الارتباط بـ"الواحد"، ولتطبيق هذا المبدأ في الواقع يجب أن يدرب الإنسان نفسه على رؤية التناغم الكامن فيما وراء ما يبدو في الظاهر متصارعا، ومتناثرا. وهذا لا يتأتى إلا عن طريق الوصلة بـ"الواحد" التي تقود الإنسان لإدراك الحقيقة، ولذلك قال لاوتسو في إرشاده "الحقيقة والوحدانية لا ينفصلان":

> "الوحدانية لا يمكن أن تنفصل عن الحقيقة. الحقيقة والتوحد يشبهان الأشجار وظلها، حين يترسخان في عقلنا بقوة، ويكونان لنا طريقا للهداية لن نحتاج البحث عن طريق آخر"
> .(Ching–Yuen 1997:29)

الهندوسية

أرشدت الهندوسية الإنسان إلى كسب حياته الحقية عن طريق التجربة الشخصية لنفسه كروح مصدرها الروح الكونية السرمدية (آتمان). وعلمت "الجيتا" الإنسان أنه يستطيع تحقيق نموه الروحي من خلال معارفه الروحية، وذلك حين يُخَلِّصُ نفسه من سجن الحواس. هكذا يوجَّه الإنسان للتفاعل مع مصدر روحي علوي ويتوحد معه، عندئذ يكسب حياة أفضل ليس لها بداية ولا نهاية.

"الحق لم يولد، ولن يموت أبدا، ولا انقطع يوما ليوجد من جديد، فـــهو لا يولد، أبدي، أزلي، قديم، لا يفنى إذا فنى الجسد"

(Gita:2:20).

"لم يأت حين من الدهر لم أكن موجودا، ولا أنت، ولا أي شيء من هـــذه الأشياء، ولا يوجد في المستقبل زمان سننقطع فيه عن الوجـــود. وكمـــا أن الروح تتخلل الجسد في الطفولة، والشباب، والشيبة، فإنها يوما تتخـــذ لهـــا جسدا آخر، والحكيم العاقل من لا يحيره ذلك الأمر"

(Gita:2:12,13).

أرشدت تعاليم"الجيتا" أن الإنسان إذا ما استكمل طهارة النفس ونقاءها فإنه ينمو ويتطـــور روحيا ويرسخ فيه الذكاء الفطري"(Cita:2:61). ومن هنا يتعامل الإنسان مع كل شـــيء في هذه الحياة من منظور الحياة الحقية، بدلا عن منظور الوهم الناتج عن "التمني" لشـــيء مـــا و"كره" شيء آخر. والتطهر منهج دائم لا يتوقف حتى إذا بلغت الروح هدفها الأسمى، وهو الوعي بالله داخل الإنسان ومن حوله في كل اتجاه. والتطهر عملية دائمة طالما أتاح الإنســـان للجانب المقدس فيه أن يرشده وينير قلبه.

"أنا هو الذي أسكن نفسه في قلوب جميع المخلوقات"

(Gita:10:20).

البـــــوذيـــــة

في البوذية الحياة الحقية هي الهدف، ونجد مكتوبا في تعاليم بوذا : "الإنسان المبارك ما جـــاء ليعلّم الموت بل جاء ليعلّم الحياة"(GB:53:12).

لكي يكسب الإنسان حياته يجب أن يتخلص من الجهل الذي يدنسه ويحول بينـــه وبـــين الحقيقة، وعندما يتمكن من إدراك وجود الحياة الأبدية فإن ذلك يقوده لكسب الحياة الحقية.

"تلك هي الحرية الحقيقية
ذلك هو الخلاص وتلك هي الجنة
ونعيم الحياة الباقية"

(GB:41:14).

وذلك أيضا هو التطهر. فتصف التعاليم الإنسان الذي تحقق بأن "قلبه قد تطهر من كل ما يلوثه، وتحرر من كل الأوهام" (GB:4:9). إن طهارة القلب والعقل تدل على كسب الحياة الممتدة والبقاء الدائم.

"تعود الأجساد للتراب ولكن الحقائق الكامنة في العقول لا تتحطم أبدا"
(GB:2:9).

الشخص الذي لم يتحرر عقله من كثافة المادة وخبْث الجهل، لا يمكنه أبدا بلوغ الحقيقة إلا إذا تخلص من الوهم "السامسارا"، أي التلوث الذي يتراكم نتيجة لأوهام الحياة.

"العالم بأسره تافه وعديم القيمة، يعج بالتغيرات، والتحولات
إن ذلك كله وهم (سامسارا)"
(GB:2:4).

إن الهدف من كل الممارسات والطقوس التعبدية في التعاليم البوذية هو تطهير العقل والقلب من "دنس الجسد المادي" ومن الأوهام "السامسارا".

الكتاب المقدس

في الكتاب المقدس إرشاد مباشر للإنسان عن ضرورة إدراك أن الحياة الحقيقية تسمو فوق الوجود المادي، ولقد علّم كل من موسى وعيسى عليهما السلام أن الإنسان يحتاج إلى غذاء روحي، وليس إلى الخبز وحده، وأكدا على أهمية طهارة القلب حتى يتمكن الإنسان من استقبال القوة الإلهية التي تحفظ حياة الروح.

قال موسى عليه السلام لشعبه:"ليعلمكم أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة ينطق بها فم الرب" (التثنية: ٨: ٣).

وحتى يحيا الإنسان بكل كلمة قالها الحق فهذا يتطلب استعدادا من جانب الإنسان للتلقي والتجاوب:

"بل الكلمة قريبة منكم جدا، في أفواهكم وقلوبكم لتعملوا بها"
(التثنية: ٣٠: ١١-١٤).

"ولكن إن تحولت قلوبكم و لم تطيعوا، بل غويتم...أنكم لا محالة هالكون"
(التثنية: ٣٠: ١٧).

إن مصدر الإرشاد للإنسان يكمن في قلبه، وهو بدوره يمكنه أن يتجاهله أو أن يلوذ به ويستفتيه. فإذا ما تجاهل الإنسان ذلك القلب أظلم، وإذا ما وعى وجوده استنار. لقد نقل موسى عليه السلام إلى شعبه الإرشاد الإلهي القائل:

"فطهروا قلوبكم الأثيمة"

(التثنية:١٠:١٦) .

إن طهارة القلب تعتبر شرطا مسبقا للحصول على المدد الروحي، وقد أرشد موسى عليه السلام شعبه مرارا إلى ضرورة أن يستمدوا غذاءهم الروحي من القوة المقدسة، وأوضح لهم أن تعاليم الرب المرسلة إليهم إنما هي نبع من محبته لهم، ومن أجل صالحهم، وإن تبادل هذه المحبة بينهم وبين الرب يمكنهم من تلقي رسالته.

"لتحبوا الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل نفوسكم لتحيوا مطمئنين"

(التثنية:٣٠:٦).

واصل أنبياء بني إسرائيل إرشاد شعوبهم إلى أن الإنسان يتلقى النور من داخله إذا ما جعل نفسه متاحا إلى أن يصله الله، ونقرأ في الكتاب المقدس:

"نفس الإنسان سراج الرب الذي يبحث في كل أغوار ذاته"

(الأمثال:٢٠:٢٧).

العهد الجديد

أكد عيسى عليه السلام لحوارييه أن كسب الحياة الحقيقية ليس بعيدا عن متناولهم، بل هو ينبع من داخلهم.

"فها ملكوت الله في داخلكم"

(لوقا:١٧:٢١).

ولقد ضرب عيسى عليه السلام مثلا في البحث عن الحياة الحقيقية، عندما أكد على تعاليم موسى عليه السلام، وذلك في حديثه مع الشيطان فوق الجبل. هذا وقد بدأ يسوع عليه السلام صياما طويلا قبل الحديث الذي دار بينه وبين الشيطان فوق الجبل.

"وبعدما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة، جاع أخيرا"

(متى:٤:٢).

إن طهر المسيح عليه السلام الكامل هو الذي أنجاه من مصيدة الشيطان، وذلك عندما أكد لـه الأخير حاجة البشر للطعام، ورغم معرفة عيسى عليه السلام بذلـك، إلا أن طلبـه للحيـاة الحقيقية كان يسمو على حاجة جسده، وما جدوى الحصول على الطعام إذا كان ذلك يفقده علاقته مع مصدر الحياة، ويؤدي إلى موته روحيا! هنا كرر يسوع عليه السلام مقولة موسـى عليه السلام: "ليس بالخبـز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة ينطق بها فم الرب"(متى :٤:٤)

لقد ذهب يسوع عليه السلام أبعد من ذلك عندما قال لمتابعيه إن طريق الحياة الأبدية هـو الأولى بالبحث

"أليست الحياة أكثر من مجرد طعام، والجسد أكثر من مجرد كساء؟"

(متى:٦:٢٥).

"لا تسعوا وراء الطعام الفاني، بل وراء الطعام الباقي إلى الحياة الأبدية"

(يوحنا:٦:٢٧).

إن البحث عن الحياة الأبدية هو في حد ذاته هدف قيم يستدعي الجهاد.

"ما أضيق الباب وأعسر الطريق المؤدي إلى الحياة! وقليلون هم الذين يـهتدون إليه"

(متى:٧:١٤).

إن تحقيق الطهارة القلبية يعني استعداد الإنسان للتطور الروحي، وهو ما أطلق عليه المسـيح عليه السلام اسم "الميلاد الجديد":

"فالمولود من الجسد هو جسد، والمولود من الروح هو روح. فلا تتعجـب إذا قلت لكم إنكم بحاجة إلى الولادة من جديد"

(يوحنا: ٣: ٦-٧).

"طوبى لأنقياء القلب، فإنهم سيرون الله"

(متى: ٥: ٨)،

"إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني تكون له الحيـاة الأبديـة، ولا يحاكم في اليوم الأخير، لأنه قد انتقل من الموت إلى الحياة"

(يوحنا:٥:٢٤).

"وليس الله بإله أموات، بل هو إله أحياء"

(متى:٢٢:٣٢).

الإســــلام

في الإسلام كما أوحي به إلى محمد رسول الله ﷺ إرشاد للإنسان أن يتيح لنفســه غــذاء الروح، وذلك من خلال جهاده المستمر لإزالة طبقات من الظلام تتراكم داخلــه نتيجـة للأوهام الموجودة في هذه الحياة الدنيا، وذلك حتى يتمكن من سماع نداء الحق من داخلــه وهو الذي يرشده إلى حفظ واستمرار حياته الروحية. إن التطهر هو الطريق إلى التخلــص المستمر من كل دنس وبالتالي إلى كسب الحياة الحقية. ولقد عبرت اللغة العربية عن الطهارة والنمو الروحي بكلمة واحدة هي (الزكاة) واستخدمت هذه الكلمة في القـــرآن الكـريم للدلالة على النمو الحقي من خلال طهارة النفس.

"وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا"

(الشمس: ٩١: ٧-١٠).

هناك طريق واحد لتطهير الروح، وتغذيتها، وإحيائها، هو أن يفتح الإنسان نفسه لكلمــات الله:

"كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ"

(البقرة: ٢:١٥١).

أما من يصمون آذانهم عن سماع كلمات الحق، فلقد وُصِفوا بالموت:

"وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ"

(فاطر: ٣٥:٢٢).

إنها نعمة من الله تدرك الإنسان فتجعله قادرا على سماع كلماته، ولذلك نسب المؤمنـــون استعدادهم للتجاوب مع دعوة الرسل عليهم السلام إلى رحمة الله، لا لأنفسهم، وفي الإسلام تعتبر رحمة الله وراء أي فلاح للإنسان، وإن مثل هذا الإيمان يقـــوي في الإنســان صفـة

التواضع، ويحي فيه الشوق والحنين لله، وذلك في حد ذاته نوع من أنواع التزكية. إن رحمة الله تُكمل وتتوج جهاد الإنسان. إن دين الفطرة كما كشف عنه الإسلام يرشد الإنسان إلى كسب الحياة الحقيقية:

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ"

(الأنفال: ٨:٢٤).

إن هؤلاء الذين هم أحياء روحيا يصبحون في حالة من النقاء تجعل بمجرد تواجدهم مصدرا للإشعاع بالنور لمن حولهم:

"أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا"

(الأنعام: ٦:١٢٢).

أشار الدين الإسلامي إلى أن الحياة تستمر بعد ظاهرة الموت. وعندما ينجح الإنسان في أن يكون حيا بإحياء المعنى الحقي فيه .."أمانة الحياة"، فهو لا يفقدها أبدا:

"ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ"

(السجدة: ٣٢:٩).

إن الإيمان بالحياة الآخرة غاية في الأهمية، وبدونه لا يستطيع الإنسان أن يتذوق في حياته الأرضية معنى الحياة الروحية، بل سيعتبر نفسه مجرد كيان فانٍ. ولقد أكد القرآن في آياته على امتداد الحياة خاصة لهؤلاء الذين عاشوا الحياة الأرضية من منظور روحي، أي الذين يعيشون لهدف اسمى، ولا يرجون إلا وجه الله:

"وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"

(آل عمران: ٣:١٦٩).

إن الحياة الحقيقية تتحقق بوجود قلب حي. وكلمة "القلب" تستخدم مجازيا للإشارة إلى الكيان الداخلي للوجود الإنساني، ولقد أكدت تعاليم الدين الإسلامي على أن القلب هو مركز الإدراك والشعور، ومن الممكن أن يصدأ ويموت، أو على العكس من ذلك يُجلى ليضيء ويحيا، وهنا يقول الرسول ﷺ : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد

كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب "[3]

وأشار القرآن أيضا إلى ذلك بقوله:

"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"

(ق: ٥٠: ٣٧).

ويعلمنا محمد رسول الله ﷺ أيضا أن "القلب بيت الرب"[4]. وبذلك وجه المسلمين للبحث عن الحق في قلوبهم. "واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة" (الأعراف: ٧: ٢٠٥)،

لقد سمى القرآن القلب الطاهر "القلب السليم" أي المخلص في طلب الله، وسمى الله أولئك الذين لهم "قلب سليم" بعباده المؤمنين" ونقل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى قوله "ما وسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن"[5].

إن العقل والجوارح من الممكن أن تكون أدوات للقلب، وبدون القلب يُساء استخدامهم ويضل سعيهم:

"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ"

(الحج: ٤٦:٢٢).

لقد وصف القرآن الكريم هؤلاء الذين لا يستجيبون لنداء الحق بقوله على ألسنتهم:

"وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ"

(فصلت:٤١:٥).

---

[3] أخرجه البخاري

[4] : الحديث رواه ابن ماجة بلفظ : "إن لله آنية من أهل الأرض , وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين , وأحبها إليه ألينها وأرقها" وأخرجه الطبراني بإسناد حسن بلفظ: "إن لله أواني في أرضه وهي القلوب".

[5] أورده الغزالي في "إحياء علوم الدين".

الخلاصة

- كل الديانات أشارت إلى العلاقة الوثيقة بين التطهر الروحي وبين استمرارية الحياة بعد ظاهرة الموت.
- كشف الإسلام على وجه الخصوص مفهوم أن تطهر الإنسان يتم بالتعرّض لنفحات الله، وأوضح جليا أنه برحمة الله يستطيع أن يجد طريقه إلى الحياة الحقيقية وينمو روحيا، ويجب على الإنسان أن يتذكر رحمة الله ويطلبها دوما، إن ذلك في حد ذاته وسيلة من وسائل التطهر، ولقد عبر محمد ﷺ عن هذا النوع من الإدراك عندما قال " **لن يُدخل الجنة أحدا عملُه. قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة**"[6]. ويكشف الإسلام أن كل حركة يأتيها الإنسان في حياته اليومية يمكن أن تصبح وسيلة من وسائل التطهر، إذا نبعت من منظور السعي إلى الحق، وبنية الخير المجردة من أي اعتبارات ذاتية أنانية، وهذا هو معنى التعامل مع الله.

---

[6] رواه البخاري ومسلم والنسائي

الفصل الثالث

الديانات والرسالات السماوية ترشد الإنسان للحياة وفقا للقانون الإلهي، وذلك من خلال ربط نشاطه على الأرض بالهدف الأساسي من وجوده، ومواجهة التحديات التي تواجهه

إن الإيمان بالقوة العليا ليس مجرد كلمات تُردد دون وعي، وإنما هو "مفـــهوم" في الحيـــاة تتشكل تبعا له توجهات الإنسان كلها. بمعنى آخر إن الإيمان بالقانون الإلهي وبالبعد الغيـبي للوجود يعني أن الإنسان ينظر إلى معنى وجوده هو نفسه بمنظور يربط فيه نفسه بـــالوجود كله في تجلياته الظاهرة، والتي هي غيب عليه أيضا. ومن هذا المنطلق يكون تعامله مع حياته الدنيوية.

إن طبيعة الحياة الدنيا تبني حجبا بين الإنسان وبين الرسالة الحقيقية التي جاء مـــن أجلـــها، لذلك يحتاج الإنسان إلى الجهاد من أجل إزالة تلك الحجب حتى يتمكن من إدراك المعـــنى الحقيقي للحياة، ويتحرر من الأوهام، وهذا ليس بالأمر الهين، فالإنسان يميـــل إلى نســـيان الهدف من وجوده. لقد وهب تلك الحياة من خلال إعطائه ذلك الجسد كيما يستخدمه من أجل تحقيق هدف أسمى، وبدلا من محاولة تحقيق هذا الهدف فإنه يترك لاحتياجاته الماديـــة السيطرة الأكبر عليه، وهي التي تحدد اتجاهه. لقد أُعطي الإنسان في حياته الأرضيـة الأدوات والوسائل التي يتمكن بها من السعي للتطور الروحي، لكن مع الأسف تتحول تلك الوسـائل إلى أهداف في حد ذاتها، وهذا الخلط بين الوسيلة والغاية يعتبر سمة من سمات الحياة الأرضية.

إن الحياة على الأرض رغم كونها فانية وزائلة إلا أنها تشكل مرحلة هامة للغايـــة في حيـــاة

الإنسان الروحية حيث أنها تمثل فرصة للإنسان لأنه يتعلم أثناءها الكثير ويتطور روحيا. من هنا تدعو الأديان الإنسان لاستثمار وجوده على هذه الأرض انطلاقا من القناعة والاعتقاد بأن كل لحظة من لحظات حياته لها أهميتها في تطوره الروحي. ولذلك فإن التركيز على تحقيق الهدف الأساسي في الحياة يمثل طريقا ومنهجا يعطي للنشاطات الدنيوية قيمتها دون التضحية بالدعوة الروحية التي تنطلق من داخل الإنسان. والرسالات تذكر الإنسان بالهدف من وجوده وتؤكد له أن وجوده الأرضي مؤقت، وحذرته من عبادة قيم زائفة.

إن إدراك ذلك الهدف الأساسي للحياة هو ما يعطي بحق لهذه الحياة أهميتها، فيُقدر الإنسان قيمة وجوده على هذه الأرض بل ويشكر ربه على هذه النعمة من خلال العمل الصالح لنفسه وللآخرين.

إن إدراك الإنسان لحقيقة أن وجوده على الأرض وجود موقوت وغير دائم، يجعله في مكنة من تمييز بين ما هو زائف، وما هو حقيقي، فيتعلم ألا يتعلق بالأشياء الخادعة كالثروة والسلطة، والقوة، والمكانة الاجتماعية التي تكتسب قيمة مطلقة، لكنه سيعتبر أن كل هذه الأشياء الدنيوية من الممكن استخدامها لخدمة الجنس البشري، فتصبح هي بعينها وسيلة لكسبه، بل ورباط له مع الله.

الديانات تعلم الإنسان كيف يجعل من كل مظهر من مظاهر حياته ونشاطه الدنيوي أداة ووسيلة يستخدمها لتحقيق الهدف الأسمى من وجوده، وبهذا فإنها تعلمه كيف يتعامل مع رفاقه أبناء هذا الجنس البشري، ومع الطبيعة ككل، وتعلمه فوق كل ذلك كيف يتعامل مع نفسه.

إن التحديات التي يواجهها الإنسان لا توجد فقط من حوله، ولكنها تكمن أيضا في أعماقه، وهو عندما يتجاوب مع مغريات الحياة الدنيا يغذي جانبا من نفسه يعمل على عزله عن مصدر الحياة بهدف قتل الجانب الحقي فيه، وذلك هو ما نطلق عليه عادة لفظ "الجانب الشيطاني" أو "الذات المحدودة" أو "النفس الأمارة بالسوء"، وهي التي تنسحب في الظلام عازفة على وتر الأنانية والغرور لتسجن الإنسان في عاجل أمره الدنيوي المحدود، وإضفاء قيمة كبيرة مزيفة على الاهتمامات المادية.

الإنسان قادر على تخليص جانبه الحقي من هذا الظلام إذا ما اختار التعامل مع الحياة من

منظور قويم، أي حين يصل نفسه بالحقيقة الكلية الشاملة. إذا ما غذى الإنسان وجوده الداخلي بالحب، فسوف تتمحي عنه الأنانية المحدودة، ويُحيٌ بذلك أناه الحقيقية، فبالحب تتسع اهتمامات الإنسان ويتوحد مع الوجود الكلي..

لقد قام بنيان الأديان كلها على أساس من الحب والمحبة، ذلك لأن الحب هو الوسيلة العملية التي تعكس معنى الوحدانية التي هي مصدر كل الأشياء، الحب يقوي الإيمان بواحدية هذا العالم وترابطه، ويزيل وهم الفرقة والتبعض، الحب يعني أن هناك حقيقة واحدة ظهرت في كل الأشياء، فإذا ما ربط الإنسان نفسه مع العالم، لكان ذلك الرباط رباطا له مع الجانب الحقي فيه، وإذا ربط الإنسان نفسه بالمقدس أي بالله فسيؤدي ذلك إلى ارتباطه بالعالم كله.

إن الحياة في تناغم مع القانون الإلهي، ومواجهة تحديات الحياة الأرضية هدف دعت إلى تحقيقه الديانة المصرية القديمة، والطاوية والهندوسية والبوذية وكذلك اليهودية والمسيحية والإسلام.

قدماء المصريين

إن مفهوم قدماء المصريين للحياة لم يكن من منظور نظري، بل كان واقعا عمليا معاشا عبّروا عنه في كل أعمالهم، وفيما تركوه للأجيال التالية من بعدهم. لقد كانوا قادرين على تجاوز الحجب الوهمية الزائفة للحياة الدنيا، وذلك بانفتاحهم على الطبيعة وعلى ما وراء الطبيعة، وقد أدى تأملهم للطبيعة وتفاعلهم معها إلى إقامة بناء معرفي لا يتناقض مع عقيدتهم، حتى أن عمليات الحرث والزرع والحصاد كانت بالنسبة لهم رموزا تعبر عن نشاطات مقدسة. وإنه من الأهمية بمكان إدراك أن كل عمل مادي عند المصريين القدماء كان يمثل رمزا له مدلول معنوي، وفي الوقت نفسه كان كل تعبير رمزي ينطوي على بُعد معاش في حياة الواقع (Gadalla 1997:21).

لم يفرق المصريون القدماء بين ما هو دنيوي مادي وأخروي مقدس، بل مزجوا بين البعدين أو المستويين بطريقة تثير الاهتمام، فلأن الحياة الأخروية كانت الهدف والمحور الذي تدور حوله حياتهم الأرضية، فقد نظروا لأنشطتهم الحياتية على كونها مزرعة يتخذونها وسيلة للحصاد في الحياة الأخروية. وبالاهتمام المحوري بالحياة الأخروية تعلموا الكثير عن طبيعة الحياة الأرضية.

لقد أدرك المصريون جانب الشر الكامن في قلب الإنسان، والذي ينعكس بوضوح في سلوكه، ذلك الجانب الذي يسعى إلى تبديد وتشتيت أناه الحقيقية، فوجب عليه مجاهدة نفسه لإبطال تأثير تلك القوة. وإذا ما تمتع الإنسان بسلام داخلي، فإنه ينشر ذلك السلام من حوله، وإذا ما تمكن من الحياة متناغما مع الفطرة النقية فيه لتغير سلوكه، وكان تعبيرا عن الواحدية، فلا يستطيع عندها إيذاء أي إنسان أو أي كائن أيا كان.

إن الاثنين وأربعين اعترافا بالنفي التي يضمها "كتاب الموتى" توضح الأفعال التي يجب على الإنسان تجنبها حتى يتمكن من النجاة في الحياة الأخرى، بعض من هذه الاعترافات هو:

- لم أتلفظ بكلمات شريرة تسيء إلى الغير.
- لم أتسبب يوما في إلحاق الألم لمخلوق.
- لم أكن يوما سببا في بكاء أحد.
- لم أتسبب في إرهاب الغير وإفزاعهم.
- لم أكن يوما مصدرا لحزن وأسى الآخرين.
- لم أتصرف يوما بيجاحة أو غطرسة.
- لم أضر أحدا أو أتسبب في مرضه.
- لم أذرِ يوما أحدا أو أحتقره بكلامي.

إن نكران الذات، وخدمة الآخرين، والعمل بروح الجماعة، كانت من الأخلاقيات التي لها قيمة كبيرة في الحضارة المصرية القديمة، ولقد عكس بناء الأهرامات على سبيل المثال كل هذه القيم.

الطاوية

هناك تحذير دائم في الديانة الطاوية للإنسان حتى لا ينخدع بتحقيق أهداف جزئية هامشية خلال فترة حياته الأرضية، بل يجب عليه التركيز على هدفه الكلي، على الـ"طاو"، فالـ"طاو" يُعتبر الطريق الداخلي الطبيعي للتفاعل مع الحياة، ومن خلال ذلك التركيز يكون في مكنة الإنسان التمييز بين ما هو حقيقي وما هو زائف. فالتعددية زائفة، والأحدية حقيقة. وعندما ينسب الإنسان نفسه إلى العائلة التي جاء منها، أو المركز الذي يشغله أو إلى الثروة التي جمعها، فإنه بذلك يعيش حياة زائفة، أي حياة خالية تماما من الـ"طاو" أما إذا اتبع

الـ"طاو" فإنه يتمكن من أن يعيش حياة متزنة.

الطاوية تعتبر أن "كل شخص في حد ذاته يمثل كونا صغيرا خلاقا لطاقة تتجلى داخله وخارجه، وهذه الطاقة تجعل من هذا الشخص نفسه جنة أو نارا لنفسه أو لغيره" (Hua Ching Ni 1997:46) وعندما يتفهم الإنسان أن "ين" و "يانج" يمثلان في الواقع طبيعة هذه الحياة، فإنه يتمكن من التعامل مع جانب الشر فيه بأسلوب يجعله ينجح في إظهار الجانب الطيب الخير. إن كبت الرغبات والشهوات على المستوى السطحي فحسب لا ينتج عنه أبدا أخلاقيات فاضلة، بل يؤدي إلى النفاق والنظر إلى الأمور بنظرة مزدوجة. إن الخوف من أي قوة خارجية حتى وإن كانت مقدسة لا يؤدي إلى اليقظة الروحية ، لكن الوصول إلى المثل الأخلاقية العليا يتحقق إذا ما عاش الإنسان متناغما مع القانون الطبيعي.

> "القانون الطبيعي وُجد من أجل أن تسخر الرغبات الدنيا للإنسان نفسها في خدمة العليا، ومن أجل أن يكون العقل مسخراً لخدمة الروح، أي تلك الطاقة اللطيفة التي لها السيادة على كل بُعد في الوجود الإنساني، بل وفي كل الخلق" (Hua Ching Ni -1997-41).

في مرحلة الجهل التي تسبق الاستنارة الروحية، يجب أن يتبع الإنسان منهجا حياتيا يؤهله للمرحلة الأعلى والأرقى. ولكي ينتقل إلى تلك المرحلة عليه أن يكون صادقا، مخلصا ناكرا للذات إلى آخره، فالقدرة على التمييز بين الصالح والطالح هو مكنة طبيعية تؤدي وظيفتها من خلال الممارسة. وعلى ذلك فالمعلومات الروحية وحدها لا تكفي ليكسب الإنسان في حياته معاني الفضيلة، إنما يستدعي الأمر منه تنمية هذه المعاني من خلال العمل الصالح، فعمل الإنسان هو الذي يخلقه، فإذا ما استزرع الإنسان أرض وجوده بالأعمال الصالحة يكون ذلك بمثابة العلاج الشخصي الذي يشفي الإنسان ويخلصه من الشقاء، أما إذا كان جشعا، طامعا في مال الغير، غيورا، حاسدا للناس، فإنه لن يكون سعيدا أو راضيا، وفي ذلك جحيمه وبعده عن الاتزان الروحي.

> "إن الوعي الروحي يظل هو السبيل الوحيد لحل مشاكل الإنسان على المستويين العملي والروحي. إن العقل المطلق هو الوحيد القادر على إيجاد وسيلة واضحة لتنمية الوعي الروحي لدى الإنسان وتحقيق التحرر، فعندما يستطيع الإنسان أن يتخطى حدود عالم الاثنينية، وسياج العقل المقيد، فإنه

يحقق نوعا من الاتزان الروحي، ويحيا حياة مفعمة بالتناغم والبساطة والصدق، والحرية الحقيقية، وذلك هو الهدف من التنمية الروحية المتكاملة"
(Hua Ching Ni-1997:43).

الهندوسية

في الديانة الهندوسية دعوة إلى الإنسان بأن يواجه التحديات التي يلقاها في عالم الأرض وذلك بأن يحافظ على رؤيته الواضحة لهدفه الأسمى المنشود وهو الإخلاص لله، فالحياة الأرضية بمحدوديتها وقيودها تؤدي إلى تراكم طبقات زائفة تغلّف الجانب المقدس في الإنسان:

" لكن هؤلاء الذين يلجئون إلي هم وحدهم القادرون على تجاوز الحجب"
(Gita:7:14).

على الإنسان أن يستخدم إرادته للتغلب على الضغوط الخارجية التي تحيط به، وهو يحتاج إلى فهم صحيح "لما يجب عمله، وما يجب تجنب إتيانه، وما الذي يجب أن يخافه أو لا يخافه، وما الذي يقيد روحه أو يحررها" (Gita:18:30). وعندما يفهم الإنسان رسالته الأساسية، يمكنه أن يتحرر بنفسه من أوهام الحياة الدنيا:

"بالإخلاص في إتيان كل مسئولية من مسئولياته يبلغ الإنسان الكمال، وبعبوديته للحق من خلال إنجاز واجباته يكسب درجة الكمال"
(Gita:18:45,46).

"إذا بلغ الإنسان الكمال وصل إلى "براهما" وفي ذلك كمال الحكمة البالغة"
(Gita:18:50).

هذا وقد أوضحت "الجيتا" أن كسب الإنسان لـ"براهما" يجعل الأخلاق المثالية تشرق من داخله:

"بمداومة عمل الواجبات، بالفرار الدائم إلى حصني، يصل (الإنسان) برحمتي إلى دار القرار الأبدي"
(Gita :18:46).

"عدم الخوف، ونقاء السريرة، والمعرفة الحكيمة، والتركيز، والإحسان،

والتحكم في النفس، والتضحية، ودراسة الكتب المقدسة، والتقشف والاستقامة وعدم العنف، والصدق والتخلص من الغضب، ونكران الذات وكراهية المنكر، والشفقة على كل المخلوقات الحية، والتحرر من الشهوات، والرقة مع التواضع والمثابرة، والقوة في الحق والمغفرة، والجَلَد والثبات على الحق، والنقاء والتخلص من الحقد والغرور الزائد.. كل هذه هبات يتحلى بها من وُلد بطبيعة مقدسة"
.(Gita 16:1-3).

إن "الجيتا" تحفز همة الإنسان حتى يكون سلوكه في الحياة تعبيرا عن هذه الطبيعة الإلهية، وعندما يكسب "براهما" يدرك أن السعادة الحقيقية تشرق أساسا من خلال "الفهم الواضح للنفس الحقيقية" .(Gita:18:37). وبقدر ما تكون "اليوجا" اتحادا مع الله من خلال العبادة، فإنها على المستوى العملي اتحاد معه من خلال السلوك والأفعال.

الديانة الهندوسية تدعو الإنسان لتعلم كيفية التعامل مع داخله، ومن خلال اعترافه بوجود صراع داخلي بين جانب الخير العلوي فيه، وجانب الشر السفلي منه، يدعو "كريشنا" صوت الحق الموجود في كل إنسان، "أرجونا" (الذي يمثل الجنس البشري) ، إلى طريق "التخلي". و"التخلي" يعني التسليم الكامل لـ"الأنا" الحقيقية داخل الإنسان، والتخلص التام من ضغوط النفس الدونية المحدودة. هذا وقد أوضحت "الجيتا" بجلاء أن نفس الإنسان السفلية هي التي تحول بينه وبين الاستسلام الكامل للقانون الإلهي، فهي تسجنه في ذاته المحدودة، ليقول دوما "أنا الفاعل لكل شيء". وإن تطهير هذه النفس يستلزم منه الفهم والمجاهدة في نفس الوقت، وعندما يراقب نفسه ويكتشف أن الدافع الحقيقي من وراء أي فعل هو أن تجني ذاته المحدودة ثمرة ذلك الفعل فعليه مراجعة ما يفعل لأن نفسه السفلية تكون هي الباعث إلى هذا الفعل في تلك الحالة. ولذلك وجب على الإنسان أولا أن يتوحد قلبيا مع "براهما" قبل أن يشرع في أي عمل، فالنفس الحقية مؤهلة لربط الإنسان بـ "براهما" لأن " الروح العلوي داخل الإنسان هو الشاهد، الممكّن، المؤيد، والخبير، والرب الأعظم والنفس العليا"(Gita :13:22).

تعلم الجيتا الإنسان كيف يجعل كل أعماله خالية من الحركة بدوافع الرغبة والشهوة:

"إن من ينجز واجباته المفروضة عليه ويتمها لأنها يجب أن تتم، مع التخلي

الكامل عن أي تعلق بشيء وعن ثمرة الفعل، فإن عمله ذلك يعتبر عملا خيرا"

(Gita:18: 9).

الارتباط بالنفس السفلية يحول بين الإنسان وبين توحده مع الأعلى، والرغبات الجسدية هي الوسيط الذي تعمل من خلاله هذه النفس السفلية، وعندما يدرك الإنسان هدفه الأصيل، فإنه يستخدم الجسد لخدمة ذلك الهدف. ولقد شبهت "الجيتا" جسد الإنسان بـ" الحقل"، وشبهت الروح بـ"العارف". وقالت إنه كلما كان الإنسان حكيما بما يكفي كلما عرف كيف يزرع "الحقل" بـ"المعرفة الصحيحة".

البوذية

أوضحت تعاليم البوذية أن لدى الإنسان قابلية لأن يكون سجينا لمعايير زائفة من صنع خياله للتمييز بين الأشياء، وذلك حين يقرر في حياته الأرضية ما هو "حسن" أو "قبيح"، "ما يحبه" أو "ما لا يحبه". إن الناس هكذا يفتقرون إلى القدرة على النظر إلى الأمور بمنظور حقي. أشارت البوذية إلى كيفية الخروج من هذه المتاهة عندما دعت الناس لـ"استعادة نقاء العقل الفطري، وحينئذ تتخلص أجسادهم من الدنس والشقاء، فيتذوقون السلام المصاحب لهذا التحرر" (TB:140). هكذا حذرت البوذية من مغريات الحياة الدنيا كالمال، الشهرة، حب المدح والإطراء من الآخرين الذي يخدع الإنسان ويضلله:

"إذا وقع الناس في مصيدة الرغبة بأن يحترمهم الآخرون ويبجلوهم، وتركوا بذلك طريق الحق، فإنهم يوقعون بأنفسهم في خطر عظيم سرعان ما يكون سببا للحسرة والندم.. ومثلهم في ذلك مثل الطفل الذي يلعق عسلا من على شفرة سكين حاد، فهو في تذوقه للعسل يكون عرضة لجرح لسانه"

(TB: p. 234).

لقد دعت تعاليم بوذا الإنسان لأن يدرك أن "كل ثروات هذه الحياة الدنيا من ذهب وفضة وشهرة لا تقارن بوجود الحكمة والفضيلة"، "للسير في أمان في متاهة هذه الدنيا يحتاج المرء لنور الحكمة، وإرشاد الفضيلة" (TB: p. 238). الإنسان إذاً مدعو لنور الفهم من خلال تعاليم "بوذا" (Dharma). فهذا الفهم يساعده على التحرر من أوهام "الشهرة، وحب المدح، وجمع الثروة"، والتعاليم تساعده على أن يجعل من كل أعماله تعبيرا صادقا عن "عقل نقي

متمتع بالسلام"، وباكتساب الحكمة يعمل في هذه الحياة الدنيا ليس من منظور ما يفنى ويزول، بل وفقا لما يبقى ويحيا.

ولقد أورد شاعر "بوذي" في فصل "سوق الدنيا الغرور" قصيدة تصف نوعين متباينين من ردود فعل الناس لنفس الحدث، ذلك أن وباءا أصاب مدينة يسكنها الكثيرون، وبينما ذعر البعض هلعا من الموت، قال البعض الآخر: "فلنستمتع اليوم بكل ما يمكن أن نستمتع به لأننا لا نعرف إذا ما كنا سنعيش للغد أم لا". ففي الوقت الذي عجز فيه الفريق الأول عن مواجهة الموقف، هرب الفريق الثاني من الحقيقة، وما كان ضحكهم إلا نوعا من الإدعاء والتصنع (GB:43:2). عندما انتقد الشاعر موقف الفريقين، نجده يقدم سلوك الناس في الحياة الأرضية:

"بعد تذوقهم للمتعة، تزداد شهوتهم إليها، ولا يشبعون أبدا
يشتهون الثراء ولا يصلون لما يرضيهم أبدا
إنهم مثل الدمى التي تحركها خيوط
فإذا ما انقطعت تلك الخيوط، هوت إلى الأرض واصطدمت بها
في دائرة الموت ليس هناك عظيم أو حقير
ولا ينفع هناك ذهب ولا فضه أو أحجار كريمة"
.(GB:55:11)

يوضح الشاعر أن الإنسان الذي تحرر من الأوهام سيتعرف حتما على الهدف الحقيقي من وراء حياته:

"استقم اليوم ولا تنتظر الغد، فلربما يكون قد فات الأوان
إنه لأمر طيب أن تُصلح وأن تحث الناس على الإصلاح
وأن تحيا وفقا لمبادئ الفضيلة، وتلجأ إلى اسم بوذا
قد تبلغ بك ملكاتك ومواهبك عنان السماء وقد تكون ثروتك لا تعد ولا تحصى
ولكن يظل ذلك كله عبثا إن لم تبلغ سلام وسكينة النرفانا"
.(GB:43:11-14)

ويعلّم بوذا أيضا أن الإنسان الموقن من وجود قانون علوي واحد يحكم هذا الكون، يتفهم

جيدا أن أعماله الصالحة يجني من ورائها ثمارا طيبة، والعكس صحيح، وعنها يتعامل مع الحياة بمفهوم "الكرما" (وهو قانون السبب والنتيجة، حيث تنتج الأعمال الصالحة أثرا مسعدا، والطالحة يجني من ورائها التعاسة والشقاء)..

"حقا أقول لكم

إنه ليس بعيدا في السماوات

أو في وسط البحار

أو إن تواريتم في شقوق الجبال الشاهقة

تستطيعون الهرب من نتيجة أعمالكم الطالحة

ووفقا لنفس المبدأ الحقي كونوا أيضا على ثقة من الحصول على بركة

أعمالكم الصالحة"

.(GB:53: 63, 64)

إن الأعمال الصالحة ببساطة هي تلك التي تنجم نتيجة التحرر من الأوهام، واعتناق منظور حقي للحياة الأرضية. إن التحديات التي يواجهها الإنسان إنما تكمن داخله هو. والبوذية توجه الإنسان لأن يتعلم كيف يميز بين "النفس" و"الحق"، أي بين الأنا الزائفة فيه، والأنا الحقية. وتوضح التعاليم أن النفس الزائفة هي الذات المحدودة، والنفس الحقية هي بعض من الحقيقة الكلية: أي طبيعة بوذا أو العقل الصافي الطاهر، أو الاستنارة والحب. ولذلك كانت كل التعاليم أداة تساعد الإنسان على التحرر من أناه الزائفة وكان لب الإرشاد المتمثل في "الطريق النبيل" هو ممارسة الإنسان حياته اليومية بما يدربه على التحرر الدائم من نفسه، وعلى الإخلاص الدائم للحق.

إن الدرس الذي يجب تعلمه هو: "كيف نحرر أرواحنا من نفوسنا الصغرى"، وذلك لأن "تغلب تلك النفوس على الوعي يؤدي إلى إظلام عيون العقل، وحجب الحقيقة"، وعندما يفلح الإنسان في التحرر من النفس يصبح "نقيا، شفافا، ومضيئا كالكريستال الذي يعكس نور الحقيقة"، بل ويصير كـ"المرآة المصقولة التي تعكس حقيقة الأشياء، دون خلط للأهواء والرغبات"، ودون "تحريف وهمي خاطئ"، أو "بلبلة نتيجة التعلق والقلق" (GB2:17)).

إن تعاليم البوذية تبشر الإنسان ببلوغ مقام "النرفانا" إذا ما نجح في التحرر من نفسه المظلمة

في جميع حركاته وتصرفاته:

"إن غياب النفس وزوالها هو الخلاص
وفناء النفس شرط لبلوغ الاستنارة
إن محو النفس هو النرفانا" (GB:2:20).

"النفس هي الموت، والحقيقة هي الحياة
التعلق بالنفس موت أبدي
بينما الحركة داخل الحقيقة
هو التحاق بالنرفانا
والتي هي الحياة الأبدية"
(GB:53:14).

لقد أوضحت التعاليم البوذية أن الإنسان الذي يريد أن يتحرر تماما من أناه الزائفة بكل أوهامها وارتباطاتها عليه أن يجاهد حتى يتعلم من خلال التجربة، ولا يكتفي بالمعرفة النظرية فحسب:

"التعلم أمر طيب، ولكنه لا يجدي
فالحكمة الحقيقية لا يمكن تحصيلها إلا من خلال التجربة
عش بحق معنى الوحدة التي بينك وبين أخيك
سِرْ في طريق الاستقامة النبيل
وسوف تفهم أنه بينما يكون الموت هو وجود النفس
فالحياة الباقية تكمن في الحقيقة"
(GB:53:67).

إن التفاعل مع أحداث الحياة، وسلوك الإنسان وموقفه مع الآخرين يجب أن يكون نابعا من المثل الأخلاقية العليا:

"لا تقتل بل حافظ على الحياة
لا تسرق لا تسطو على أحد بل ساعد كل شخص أن يكون سيدا على ثمار عمله

أعفف نفسك، وأسلك طريق النقاء والطهارة
لا تكذب وكن صادقا، قل الحق
مع الحذر والخشية، وبقلب مفعم بالحب
لا تخترع المقولات الباطلة ولا ترددها
لا تبحث عن عيوب أحد ولكن أنظر فقط إلى محاسن أخوتك من البشر
حتى تدافع عنهم من أعدائهم
لا تُقسم ولكن تحدث بأدب ووقار
لا تهدر الوقت في لغو الحديث بل قل ما تهدف إليه مباشرة أو التزم الصمت
لا تشتهي ما للغير، ولا تحسده، ولكن ابتهج لما أنعم الله به على الآخرين
طهر قلبك من الحقد، وخلصه من الضغائن حتى لأعدائك
حرر عقلك من الجهل
وكن تواقا لتعلم الحقيقة"
(BG: 46: 4-31).

العهـــد القديـــم

يتضمن العهد القديم إرشادا للإنسان بأن يواجه تحديات الحياة على الأرض واختباراتها الـتي قد تجعله يخلط بين أهدافه الوقتية العاجلة، وبين هدفه الرئيسي من الحياة. أي أن التعـاليم توجهه دوما إلى أن يحسن التمييز بين ما هو زائف وما هو حقيقي. ويقول له الإرشـاد إن إيمانه بالقوة العليا يساعده على أن يعطي لكل شيء حقه، وتحرره من خلط الأمور. وفي كل من العهد القديم والعهد الجديد هناك تنبيه دائم للإنسان من مغبة ترك نفسه مشدودة لكل ما يجذبها من سلطان المال والقوة، وهنا يقول موسى عليه السلام لشعبه:

"لئلا إذا أكلتم وشبعتم وبنيتم بيوتا جميلة سكنتموها، وتكـاثرت أبقـاركم وغنمكم وذهبكم وجميع ما لكم. تتكبر قلوبكم وتنسون الرب إلهكم"
(التثنية: ٨: ١٢– ١٤).

يذكر موسى عليه السلام شعبه أن وسيلة تجنب هذا الإغراء إنما هو في التعامل مع الحيـاة الأرضية من منظور حقي، وهو أن يكونوا خالصين لله بالتذكر الدائم بأن الثروة إنما هـي "وسيلة" أعطاها الرب لهم. أما "الغاية" فهي الحفاظ على عهده الذي وهبهم إياه، وذلـك

باستخدام تلك الثروة بطريقة سليمة ومن خلال مفهوم صحيح للحياة. ولقد جذب موسى عليه السلام انتباههم إلى أن الرب هو الذي يهب لهم كل شيء:

> "خوفا من أن تقولوا في قلوبكم، لقد أحرزنا هذا الثراء بفضل قوتنا وقدرة أيدينا. ولكن اذكروا أن الرب إلهكم هو الذي يمنحكم القوة لإحراز الثروة، وفاء بوعده الذي أقسم عليه لآبائكم كما في هذا اليوم"
>
> (التثنية: ٨: ١٧-١٨).

أوضح موسى عليه السلام لذلك أن التعبير عن الإخلاص لله يكون بالفهم بأن تعاليمه تساعد الإنسان على عدم الانغماس في تحقيق أهداف زائفة، وبأنها تعين على أن يكون دوما في الطريق إلى الله

> "أطيعوا وصايا الرب إلهكم لتسلكوا في سبله واتقوه"
>
> (التثنية:٨:٦).

إن الطريق العملي ليتذكر الإنسان الإخلاص لله هو التدريب على أن يتخلص تماما من النفس بوقف كل نشاطاتها في الحياة من وقت لآخر:

> "ستة أيام تشتغل وتقوم بجميع أعمالك، وأما اليوم السابع فيكون يوم راحة للرب إلهك، لا تقوم فيه بأي عمل أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك.. ليستريح عبدك وأمتك مثلك"
>
> (التثنية: ٥: ١٣-١٤).

وعندما يتدرب الإنسان على الانسحاب من كل الأعمال الحياتية ويتذكر انتماءه لله يتحرر مفهومه ونظرته للدنيا من قيودها، ويعرف أن الأهداف الدنيوية المؤقتة لا تصلح أن تكون أهدافا مطلقة.

الإخلاص لله من جانب آخر يتطلب طهارة القلب، فالإنسان لا يكون قادرا على أن يبني مواقفه من الحياة وفقا للتعاليم الدينية المنصوص عليها إلا إذا كان له اتجاه واضح وقويم. ولذلك ترشده التعاليم دائما بالخروج من دائرة الذات المحدودة، ومن أنانيته بكل ما يستتبعها من آثار سيئة. ولذلك عندما دعا موسى عليه السلام شعبه إلى محبة جيرانهم، إنما كان يوجههم في نفس الوقت للتخلص من أنانيتهم، ولئن فعلوا لكانوا بالفعل من المتابعين لتعاليم الله:

"ولكن تحب قريبك كما تحب نفسك، فأنا الرب"

(اللاويين: ١٨:١٩).

"فإن الشريعة كلها تتم في وصية واحدة: "أن تحب قريبك كنفسك"

(غلايطة: ١٤:٥).

الوصايا العشر التي هي خلاصة قانون الشريعة الموسوية، الستة الأخيرة منها تنير الطريق أمام الإنسان للتخلص من سلطان الذات المحدودة، ومن كل ما يحيط بها من رغبات وشـــهوات. وهذه الوصايا في جوهرها تدعو الإنسان لأن تكون كل تصرفاته وعلاقاته تعبيرا عمليا عـــن الحب:

"أكرم أباك وأمك كما أمرك الرب إلهك..

لا تقتل

لا تزن

لا تسرق

لا تشهد على جارك شهادة زور

لا تشته امرأة غيرك ولا بيته ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره

ولا كل ماله"

(التثنية: ٥:١٦-٢١).

العهـــــد الجديـــــد

يتضح جليا من تعاليم السيد المسيح عليه السلام أن أوهام هذه الحياة الدنيا هو أخطر مـــا يواجهه الإنسان في طريقه نحو الحياة الحقيقية، وهذا ما يرمز له قوله:

"إنه لأسهل أن يدخل الجمل في ثقب إبرة من أن يدخل الغني ملكوت الله"

(متى: ١٩: ٢٢-٢٤)

أشار السيد المسيح عليه السلام إلى حقيقة أن الإنسان يكون عرضة للانحراف عن هدفـــه الرئيسي، بسبب حرصه على جمع الثروة، وهو في ذلك لا يجور على الآخرين فحسب بـــل يظلم نفسه أيضا، ويفقد بذلك علاقته مع ربه لأنه ببساطة لا يدين بالولاء إلا لما يعطيه هـــو القيمة والأولوية. ويرى السيد المسيح عليه السلام أن هدف الإنسان الكلي في الحياة هـــو

إثراء علاقته بالله:

"بل اكنـــزوا لكم كنوز في السماء، حيث لا يفسدها سوس ولا ينقب عنـها لصوص ولا يسرقون. فحيث يكون كنـــزك هناك أيضا يكون قلبك"

(مئ: ٦: ٢٠-٢١).

أراد المسيح أن يدرك حواريوه عن ماهية الكتر الروحي الذي يمكن أن يفقدوه إذا ما حـادوا عن طريق الله، وما طريق الله إلا متابعتهم له:

"فأي من ترك بيوتا أو أخوة أو أخوات أو أبا وأما أو أولاد أو أراضي مـــن أجل اسمي، ينال منه ضعف ويرث الحياة الأبدية"

(مئ: ١٩: ٢٩).

"فماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يقدم الإنســان فداء عن نفسه؟"

(مئ: ١٦: ٢٦).

أشار السيد المسيح عليه السلام إلى المشاكل التي يمكن أن يواجهـها الإنســان في حياتـه الأرضية، وكيف أنه يمكنه أن ينسى تماما وجود الإرادة الإلهية الفعّالة التي يجب أن يثق فيها :

"تأملوا طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع في مخازن، وأبوكـــم السماوي يعولها. أفلستم أنتم أفضل منها كثيرا؟ فمن منكم إذا حمل الهمـــوم يقدر أن يطيل عمره ولو ساعة واحدة؟ ولماذا تحملون همّ الكســاء؟ تـأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، إنها لا تتعب ولا تغزل، ولكني أقول لكـــم: حـــتى سليمان في قمة مجده لم يكتس ما يعادل واحدة منها بهاءً"

(مئ: ٦: ٢٦-٢٩).

نسيان الإنسان للإرادة الإلهية يقلص من أهليته للتمييز بين ما هو حقيقي وما هو زائف، بل أنه يغوي نفسه للسير في الطريق الخاطئ، وعندها لا تجد "كلمات الرب" مكانا في قلبـــه. والغواية كما وصفها السيد المسيح تشبه "الشوكة" التي تضر بـــ"البذرة" المدفونة في الأرض فتحول بينها وبين النمو الصحي:

"أما المزروع بين الأشواك فهو الذي لا يسمع الكلمة، ولكن هـــمّ الزمـــان

الحاضر وخداع الغنى يخنقان الكلمة فلا يعطي ثمرا"

(متى: ١٣: ٢٢).

أرشد السيد المسيح عليه السلام حوارييه إلى ضرورة النظر للحياة من المنظور السليم، فعندها تصبح تصرفاتهم كالأساس المتين لمترل لا يمكن زحزحته من مكانه، لأن كلمة الرب تكون قد تحولت إلى جزء من وجودهم العميق، بينما هؤلاء الذين تتشتت أفعالهم لأنهم أخذوا الطريق الخاطئ لا يجنون من ورائها إلا الحطام السهل:

"إنه يشبه إنسانا يبني بيتا، فحفر وعمق ووضع الأساس على الصخر. ثم هطل مطر غزير وصدم السيل ذلك البيت، فلم يقدر أن يزعزعه، لأنه كان مؤسسا على الصخر، وأما من سمع و لم يعمل، فهو إنسانا بنى بيتا على الأرض دون أساس. فلما صدمه السيل انهار في الحال، وكان خراب ذلك البيت جسيما!"

(لوقا ٦: ٤٨،٤٩).

الإنسان يحتاج إلى دوام العون والمساندة الإلهية حتى يتمكن من المحافظة على منظور سليم تجاه الحياة، كما يجب عليه أن يتعرف على نواقصه فهو معرض في كل ما يعمل لأن يضل الطريق الصحيح. ولذلك عندما بدأ المسيح عليه السلام وعظه بدأ بقوله:

"توبوا، فقد اقترب ملكوت السماوات"

(متى ٤: ١٧).

التوبة منهج دائم لا يتوقف، يبحث فيه الإنسان دوما عن التحرر من عبادة أي شيء سوى الله، ومع إدراك الإنسان بإمكانية انحرافه، يستشعر الحاجة الدائمة للتوبة، أي مراجعة منظوره لكل جانب من جوانب الحياة. والتوبة أيضا وسيلة الإنسان للتغلب على نفسه المظلمة.

في العهد الجديد يدعو السيد المسيح عليه السلام حوارييه إلى التمييز بين الأفعال والمشاعر التي تنبع من قلب طاهر نقي، وبين تلك التي تعكس الدنس وغياب الصفاء والنقاء:

"الفم يتكلم بما يفيض به القلب"

(متى: ١٢: ٣٤).

"الإنسان الشرير يصدر ما هو شرير"

(متى: ١٢: ٣٥).

"فمن القلب تنبع الأفكار الشريرة، القتل، الزنى، الفسق، السرقة، شهادة الزور، التجديف. هذه هي الأمور التي تنجس الإنسان"

(متى: ١٥: ١٩-٢٠).

القلب الصالح هو القلب المحب. وفي تأكيده لتعاليم موسى عليه السلام يربط المسيح عليه السلام بين محبة الله ومحبة الناس:

"...أحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل فكرك وبكل قوتك...
أحب قريبك كنفسك. فما من وصية أخرى أعظم من هاتين"

(مرقس: ١٢: ٣٠، ٣١).

"بهاتين الوصيتين تتعلق الشريعة وكتب الأنبياء"

(متى: ٢٢: ٤٠).

التعبير عن محبة الله والإخلاص له يكون أساسا في محبة الإنسان لجيرانه، بل لأعدائه، حيث قال السيد المسيح عليه السلام:

"أحبوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم، وأحسنوا معاملة الذين يبغضونكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم، فتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات: فإنه يشرق بشمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار وغير الأبرار. فإن أحببتم الذين يحبونكم، فأية مكافأة لكم؟ أما يفعل ذلك حتى جباة الضرائب؟ وإن رحبتم بإخوانكم فقط، فأي شيء فائق للعادة تفعلون؟ أما يفعل ذلك حتى الوثنيون؟ "

(متى: ٥: ٤٤-٤٨).

إنه لجهاد كبير أن يكون الإنسان مخلصا لله وحده، غافلا عن ذاته المحدودة، ولحظة أن ينجح الإنسان في ذلك تستيقظ نفسه الحقية، فيدرك علاقته بالوجود ككل. من هذا المنظور أخبر عيسى حوارييه أن كل عمل خير يعملونه من أجل إخوانهم في الإنسانية إنما يعكس حبهم لله.. وعندما يقدم المرء "لحما للجائع، أو ماءاً للعطشان، أو يأوي غريبا، أو يكسو عريانا،

أو يزور مريضا أو مسجونا"، فليستشعر حينئذ أن المقصود من ذلك وجه الله (متى: ٢٥: ٣٤ - ٤٠).[٧]

"لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبا فآويتموني، عريانا فكسوتموني، مريضا فزرتموني، سجينا فأتيتم إلي"
(متى: ٢٥: ٣٥).

"الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتم ذلك بأحد أخوتي هؤلاء الصغار، فبي فعلتم!"
(متى ٢٥: ٤٠).

السيد المسيح عليه السلام لا يطلب من الناس أن يحسن بعضهم إلى بعض فقط، إنما يسألهم أيضا التسامح، والمحبة والمغفرة . فإنه من خلال إرساء علاقة المحبة بين الإنسان وربه، يقدر الإنسان على التسامح والمغفرة مع الآخرين. وإذا ما أحسن الإنسان التعامل بهذا المنهج فما ذلك إلا تعبير عن إخلاصه لله.

الإســـلام

أعطى الإسلام لفكرة وحدانية الله بُعدا حياً. فالقول بأن الله واحد لا يعتبر قولا نظريا عن طبيعة وجوده، وإنما هو تذوق لتجربة حية تعاش، لأن هذا القول يعني أن الإنسان يجب ألا يستسلم لعبادة أي شكل من الأشكال، وعليه أن يميز دوما بين الحق والباطل، فالشهادة بوحدانية الله تعني جهادا داخليا للإنسان بهدف التخلص من كل القيود التي تجذبه إلى أسفل، وتربطه بآلهة زائفة. والـ"آلهة" الزائفة هي كل الأشياء التي تنتمي إلى هذا العالم المحدود من أفكار أو عادات، أو أماني ورغبات إلخ. إن التسليم لله (وهو في الواقع ما تشير إليه كلمة "الإسلام") في معناه العميق يُقصد به حرية الإنسان الكاملة من عبادة غير الله. أي أن يخلص الإنسان لله وحده وليس لأي سلطة أخرى من أي نوع.

الدين الإسلامي يدعو الإنسان إلى التسليم لله وحده، وأن يكون سلوكه من منطلق أنه أداة طيعة في يد الله العظيم القادر. فكل حركة يأتيها المسلم يجب أن يكون المقصود منها وجه الله، فهو يبدأ أي عمل يقوم به "باسم الله"، حين يأكل أو يطهر أو يدخل مكانا جديدا أو

---

[٧] هذا ملخص للمعاني المتضمنة دون التزام بالنص

يبدأ عمله وهكذا. إن حياة الإنسان اليومية-كما تدعو إليها تعاليم الدين الإسلامي-يجب أن تكون تعبيرا عن إخلاصه لله وحده.

"فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا"

(الكهف: ١٨: ١١٠).

يوضح الإسلام أن انغماس الإنسان في الحياة الدنيوية ينتج عنه نسيانه لمصدر الحياة الحقيقية. فالإنسان الذي ينغمس في الحياة المادية تماما ويهدر المعنى الحقي داخله يوصف في القرآن الكريم بأنه "كافر" أي "جاحد"، فهناك علاقة مباشرة بين "الكفر" أي الجحود وبين عدم الإيمان بالله. فعندما يتجاهل المرء معرفة أن كل ما يملكه هو في حقيقته عطاءا له من الله، فإن جهله ينعكس على سلوكه، فيسحن نفسه في الأهداف المادية المحدودة، ناسيا رسالته الحقيقية على هذه الأرض. وباستجابته لمغريات الحياة الدنيا يُحدّ من كسبه عليها:

"إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ"

(التغابن: ٦٤: ١٥).

"قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"

(التوبة: ٩: ٢٤).

"قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا"

(الكهف: ١٨: ١٠٣-١٠٥).

إن تذكر الإنسان الدائم لمصدر الحياة الذي جاء منه كل شيء، هو المفهوم الأساسي الذي يحميه من مغبة الانغماس في حياة زائفة. لذلك في مستهل فاتحة القرآن الكريم الآية: "الحمد لله رب العالمين"، وهذا الحمد يتجلى في تقديم يد العون، وخدمة الآخرين.

من هذا المنطلق أعلت تعاليم الدين الإسلامي قيمة الارتباط بين الإيمان بالله والإخلاص له،

وبين نشاطات الإنسان اليومية. فتأهيل الإنسان لكسب حياة روحية مثمرة يتم هنا على هذه الأرض، والإخلاص لله يتضمن مسئولية عدم تفريط المرء في قدراته هباء. إن قدرات الإنسان جميعا ومنها العقل، والذكاء، والإبداع، وصحته الجسدية، وإمكانياته الروحية، وما لديه من مواهب، يعتبر مسئولية ملقاة على عاتقه. وهو كخليفة الله على الأرض عليه أن يوجه تلك الطاقات لمقصود وجه الله.

التعاليم الإسلامية تعتبر "العمل" أمرا مقدسا لأنه يرمز إلى تناغم الإنسان مع سعيه للإخلاص لله، وعندما يكون كسولا أو يعمل بلا إتقان، فإن ذلك يُعد تقاعسا عن إنجاز مهمته الحقية، وعلى ذلك أوضح الإسلام بجلاء أن الإنسان قد جاء هنا من أجل إنجاز مهمة جليلة وسامية: أن يتعلم كيف يتعامل مع الحياة الأرضية كفرصة لكسب النضج الروحي الذي يؤهله لمواصلة الحياة الأخروية.

"الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"

(آل عمران: ٣: ١٩١).

من ذلك المنظور أكد محمد رسول الله ﷺ في سنته أن من هو عبد لله بحق أو المؤمن بحق هو من يطلب العلم، والمعرفة والحكمة ويستعملها من أجل نفع الآخرين:

"الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها"[٨]

"من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع"[٩]

"العلماء ورثة الأنبياء"[١٠]

حذر الإسلام المرء من نفسه الأمارة بالسوء، وأرشده للارتباط بمصدر الحق فيه والالتصاق بفطرته التي هي بمثابة طبيعته النقية، فالفطرة هي الطبيعة الأصيلة في داخل كل إنسان، كما فطره الله وطهره، إلا أن الإنسان معرض لضياع هذه الفطرة إذا ما خضع لنفسه الأمارة

---

[٨] سنن الترمذي

[٩] سنن الترمذي

[١٠] سنن الترمذي وسنن أبي داود

بالسوء، ولذلك وجه الرسول ﷺ نظر الناس إلى ضرورة جهاد هذه النفس، وأطلق عليه اسم "الجهاد الأكبر". ومعرفة الإنسان لحدوده عامل فعّال يجعله يرجع إلى الله دومـــــا، وعلـــى الإنسان أن يداوم على جهاد نفسه فتتحول من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة:

"وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ"

(القيامة: ٧٥: ٢) .

هذا وقد قال رسول الله ﷺ "أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك[١١]" وقال أيضا أن قـــوة الإنسان تكمن في "أن يملك نفسه عند الغضب[١٢]" كما عرض القرآن لهذا الأمر قائلا:

"وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّــي غَفُــورٌ رَحِيمٌ"

(يوسف: ١٢: ٥٣) .

عندما يحجم الإنسان عن التعامل مع هذه الحياة بشكل يحد من تأثير نفسه الأمارة بالســـوء فإنه يوصف بأنه "ظالم"، وكلمة "ظالم" لغويا تعني من يتجاوز حدوده، أو يضع الشــيء في غير محله، ونجد أن كلا من كلمتي "الظلم" "وظالم" في القرآن الكريم تعبر عن معان كثــيرة، فهما مثلا يشيران إلى من يظلم نفسه فلا يربطها بالقوة العليا، وبالتالي يعطي زمام القيـــادة لنفسه المظلمة:

"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ"

(السجدة: ٣٢: ٢٢).

إن هؤلاء الذين يؤتون الأعمال الظالمة، يسيئون إلى أنفسهم في المقام الأول، فالسرقة، والزنا وارتكاب الجرائم والكذب والغش وأعمال السلب والنهب، وجحود الوالديـــــن، وتتبـــع عورات الآخرين، كل ذلك يعتبر من الأمور العدوانية والأعمال الظالمة التي عـــن طريقـــها تتلوث فطرة الإنسان، وقتل الجانب الحقي فيه فيصبح هو الخاسر الأكبر.. وعلى الجـــانب الآخر فإن الإنسان يعطي لنفسه حقها إذا ما وصلها بالحق، فهو بذلك يحييها ويزكيها.

---

[١١] أخرجه البيهقي

[١٢] أخرجه أحمد

إن تهذيب النفس وتطهيرها يودي إلى محبة الناس، وإلى اتخاذ الموقف الصائب من العالم أجمع، فالفرد في الإسلام جزء لا يتجزأ من الكل، بمعنى أن الإنسان غير معزول عن إخوانه في الإنسانية، ولا عن الطبيعة من حوله، ولا عن الكون، ولا عن الله.. هذا الانتماء يضعه في مكانه الصحيح في هذا الكون، ويحرره من الأنانية والخوف، والغرور، وذلك كما أكد رسول الله ﷺ في حديثه قائلا "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه[١٣]" ويستطرد القرآن بقوله:

"وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"
(فصلت: ٤١: ٣٤).

الحب الغير مشروط في الإسلام هو جوهر الأخلاق جميعا. فالتزام الأخلاق الكريمة يطور الإنسان إلى أن يصبح هو نفسه تجليا للحب الإلهي، وذلك هو الهدف الكلي من وراء الحياة بأسرها، ويتطلب تحقيقه مؤازرة مصدر حقي، وهنا يشير رسول الله إلى مضمون رسالته والهدف منها قائلا "بعثت لأتمم صالح الأخلاق[١٤]". ويتوجه الله إلى رسوله في القرآن قائلا:

"وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"
(القلم: ٦٨: ٤).

إن الأخلاق الكريمة جزء متمم ومتكامل مع طريق التحرر الروحي وبلوغ الحياة الحقيقية، ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام:

"إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم[١٥]"

---

[١٣] صحيح البخاري

[١٤] أخرجه البخاري وأحمد

[١٥] سنن أبي داود

الخلاصة

- كل الديانات حذرت الإنسان من جانب الشر فيه ودعته للتغلب على هذا الجانب، وأشار كل منها إلى حقيقة أن الوجود الإنساني على هذه الأرض يحمل في طياته جوانب ا إيجابية وأخرى سلبية. وعلى الأرض يتعرض الإنسان لنسيان الهدف الأسمى من وراء وجوده، أما إذا أدرك مغزى ميلاده على هذه الأرض لاستطاع تحقيق الرقي الروحي المنشود.
- أشار الإسلام بشكل خاص إلى أن الحياة الأرضية من الممكن أن تكون تجربة رابحة للإنسان إذا ما نظر إلى نشاطاته فيها كوسيلة لتطوره الروحي، فليس هناك فصل قاطع بين ما هو روحي ودنيوي، فالعامل المؤثر لحركة تطوره يكمن في طبيعة توجهه للحياة، ونواياه التي تشكل دافعه تجاه أي فعل.

الفصل الرابع

الأديان تدعو الإنسان للحياة وفقا للقانون الإلهي وذلك من خلال التطهر، وتعتبر العبادات وسيلة لتحقيق التطهر، والنمو الروحي

إن تحقيق الطهارة القلبية كهدف، يتطلب إدراكا من جانب الإنسان يبصر معه ضرورة المحافظة على العبادات، وذلك حتى يتمكن من جلاء قلبه مما يعلق به من غبار الحياة الدنيا وظلامها. وعندها يُعطى الفرصة لجوهره الذي يحمل نفحة مقدسة بأن يمد كيانه كله بالغذاء، ويوجهه إلى أن يعيش حياة حقيقية وإلى النمو روحيا. ولقد قدمت الأديان للإنسان أدوات ووسائل يطهر بها نفسه حتى يمكنه تحقيق التطور الروحي الذي يصير معه أهلا لتلقي المدد والعون من القوة العليا.

إن الحياة الروحية تسير وفقا لقانون يستلزم ضرورة إمداد هذه الروح بالغذاء اللازم لها ، والشعائر والممارسات الدينية المعطاة من خلال الرؤية الواسعة لكل هذه الأديان، تعني بإمداد الروح باحتياجاتها، بل وفوق ذلك بتحقيق الوسط المناسب الذي تتمكن فيه الروح من التطور والنمو. ولقد حاولت الديانات المختلفة أن توضح حقيقة أن الإنسان إنما هو في حقيقته روح تتسربل بغلاف مادي. وعلى هذا فنظافة الجسد المادي تعتبر إعدادا له ليكون وسيطا بين عالم الروح وعالم المادة، فهناك علاقة تربط بين الطهارة الجسدية ويقظة الإنسان الروحية، كما أن هناك بعض الممارسات التي هي إرشاد للإنسان أن يصل نفسه بالقوة العليا. ولكن تحقيق الارتباط بالقوة الغيبية المتعالية لا يمكن أن يتحقق إلا بيقظة الجانب المقدس داخل الإنسان، ذلك لأن هذا الجانب الروحي في الإنسان هو الذي يتطلع إلى أصله،

ومن هنا كان إرشاد الأديان للإنسان بأن يقيم تلك الصلة بوسائل متعددة، ولذلك ترشد الأديان الإنسان أن يخوض تجربة إيقاظ الجانب الروحي فيه وإعطائه الفرصة لأن يصبغ وجوده الإنساني كله.

الإنسان أيضا مدعو ليكون بذاته أداة تصل بها القوة الحقية العليا إلى الآخرين، وفي سبيل تحقيق ذلك فإنه مدعو أن تكون محبته للآخرين ومشاركتهم فيما يملك هي وسيلته في التعبير عن رباطه بالحق الأعلى، وبقدر إفاضته من هذا الحب الإلهي على الآخرين، بقدر ما يستقبل هو بدوره نفس هذه المحبة الإلهية من مصدر إنساني أعلى وأرقى، وعليه دوما أن يتذكر وجود المصدر الأعلى واضعا في حسبانه أن مصدر النور العلوي لا ينقطع أبدا تواجده على هذه الأرض، ولا تجليه في وجود إنساني.

الديانات تدعو الإنسان إلى ممارسة هذه الشعائر بانتظام، ومن خلال هذا "الطريق" يتذكر دائما علاقته مع مصدر الحياة، ويتخلى عن وجوده المادي من حين إلى آخر، ويعيش كروح. تلك هي وسيلته في تطهير نفسه من الأوهام.

الديانات تأخذ بيد الإنسان تدريجيا، وبرفق على طريق الطهارة والنمو الروحي، ومن خلال قيامه بالشعائر والطقوس يَعْبُر الفجوة الموجودة بين مجرد المعرفة العقلية وبين التحقق الروحي، فلا يكفي أبدا أن يعرف الإنسان أن النبات يحتاج للماء حتى ينمو، ولكن تلك المعرفة يجب أن يتبعها ريّ النبات، وإلا مات. وعلى هذا المنوال لا يكفي الإنسان أن يعرف أنه بحاجة للتطهر حتى يحصل على حاجته من الغذاء الروحي، بل عليه أن يتحرك في هذا الاتجاه بالفعل لتتحقق عملية التطهر.

تطهير الجسد واستيقاظ الروح..

تؤكد الأديان دوما-كما جاء- حقيقة أن الإنسان روح تسربلت في شكل مادي، والطهارة الظاهرية تعتبر وسيلة لإعداد جسده ليكون وسيطا بين عالم الروح وعالم المادة، إلا أن الطهارة لا تعني بمجرد النظافة الجسدية، بل إن لها بُعدا أعمق من ذلك بكثير. فطهارة القلب تمكن الحواس من العمل بكفاءة تفوق إمكانياتها المادية المحدودة، فالعيون والآذان مثلا تعمل كمنافذ للروح، ولذلك أكدت الديانات على أهمية تطهير هذه الحواس قبل أي ممارسة روحية، بل ووضعت منهاجا لذلك، كان ذلك واضحا بالأمثلة في كل من الديانة المصرية القديمة، الطاوية، الهندوسية، البوذية، اليهودية، المسيحية والإسلام.

قدماء المصريين

عبر قدماء المصريين عن حاجة الإنسان للتطهير من أجل إنماء حواسه وتقويتها روحيا بطرق مختلفة، ويعتبر السعي لتقوية البصيرة هدف واضح لديهم، فكانت عيون "حورس" ترمز لهؤلاء الذين استيقظت بصائرهم. وبينما رمزت العين اليمنى إلى الشمس، رمزت اليسرى إلى القمر، إشارة إلى دوام المدد النوراني نهارا وليلا، ومن ثم فإن الطهارة الكاملة للجسد كانت أساسا مهما في ممارسة الشعائر المقدسة عند قدماء المصريين، وكان للفراعنة بمعابدهم بحيرات مقدسة يتطهرون فيها، كما كان الكهنة يحلقون شعر رؤوسهم وأجسادهم لنفس الهدف.

الطاوية

التنفس في الطاوية يعتبر وسيلة من وسائل التطهر، و"هناك تعليمات دائمة من هؤلاء الذين بلغوا قسطا من التطور الروحي بالتخلص من كل ما هو مستهلك وقديم، لاستقبال ما هو

جديد ونقي" (Hua Ching Ni 1997: 121). فعندما نخرج هواء الزفير نتخلص مما هو مستهلك وقديم، وعندما نستقبل هواء الشهيق نتيح لما هو جديد ونقي أن يجدد أجسادنا وأرواحنا، وهناك الكثير من تمارين التنفس التي تحقق ذلك الغرض.

الهندوسية

تطهير الحواس في الديانة الهندوسية مطلب مبدئي وأساسي لطهارة العقل والروح، فبتطهير الحواس يصبح الإنسان وسطا شفافا لسريان نور الله داخله، كما أنه يتمكن بذلك من فهم حكمة الحياة، بما له من "عيون الحكمة". إن تطهير الأذنين في الهندوسية يرمز إلى قدرة الإنسان على تلقي القوة المقدسة التي تحفظ حياة الروح، والتي بدونها يجوع روحيا حتى الموت. فيقول براهما:

> "إذا منعك الغرور بذاتك من الاستماع إليّ فسوف تبلى وتفنى "
> (Gita:18:58).

إن الطهارة الجسدية تلازم تمارين "اليوجا" كإعداد ضروري للوصلة بالله.

البوذية

الطهارة في البوذية تؤثر تأثيرا مباشرا على أهلية الإنسان لرؤية الحقيقة، ولسماع صوت الحقيقة. والإنسان يحتاج تلك الطهارة والنقاء حتى يحقق ارتباطه بالحقيقة، وينمو روحيا بالتدريج.

> "احفظ عينيك، فإن عيون عقلك إذا لم تغشاها الظلمة فسيمكنك إبصار عظمة الحقيقة وقوتها"
> (GB:53: 2)

التعاليم البوذية تذهب إلى القول بأن "سماع الإنسان لصوت الحقيقة" يجعله "كالبحيرة النقية الساكنة العميقة". وكي يتطهر الإنسان روحيا فهو بحاجة إلى تطهير حواسه، وتلك الطهارة تمكنه من الاندماج مع الحق الموجود فيه، أي وصلته بـ"بوذا" أو "الإنسان المستنير".

الكتاب المقدس

في الكتاب المقدس الإرشاد إلى تطهير الحواس مرتبط بكل الشعائر الدينية ، والتطهير في هذا

السياق بمثابة تهيئة للروح لتلقي المدد الروحي من المصدر الأعلى، في الداخل والخارج. ولقد أشار كل من موسى وعيسى عليهما السلام إلى "السمع" كوسيلة للتعرض لكلمات الحق، كما استعمل عيسى عليه السلام "العين" كرمز لليقظة الروحية.

العهد القديم

في العهد القديم تطهير الحواس، بل الجسد كله أحيانا، أمر مطلوب قبل البدء في الشعائر والطقوس المقدسة، ولقد "أمر الرب موسى عليه السلام " أن يجعل بني إسرائيل يغتسلوا قبل ذهابهم إلى المعبد وتجمعهم لأداء الشعائر المقدسة:

> "ووضع حوض الاغتسال بين خيمة الاجتماع ومذبح المحرقة. وملأه بالماء للاغتسال. ليغسل موسى وهارون وبنوه أيديهم وأرجلهم بمائه"
>
> (الخروج: ٤٠ : ٣٠-٣١).

"وعندما ذهبوا إلى خيمة تجمُّع المصلين، واقتربوا من المعبد اغتسلوا كما أمر الرب نبيه موسى، فقال لهم موسى :"هذا ما أمر الرب به" فقدم موسى هارون وأبناءه وغسلهم بماء" (اللاويين: ٨ : ٥-٦).

وهكذا صار الاغتسال أمرا ضروريا من تهيئة المرء للصلوات في الشعائر والطقوس اليهودية.

العهد الجديد

أكد السيد المسيح عليه السلام على طهارة الحواس، مركزا في حديثه على "المعنى" لا "الشكل"، وفي مناسبات عديدة أكد أن الطهارة الحقيقية هي طهارة القلب قبل الجسد، وذلك بالتأكيد ليس إنكارا لأهمية الطهارة الجسدية للتهيئة للصلاة المنسكية. وقد اعتاد المسيح أن يقول عند دعوته وإرشاده : "ليسمع كل من له آذان"، كما اعتاد أن يقول لبعض الناس:

> "لأنكم لا تطيقون سماع كلمتي"
>
> (يوحنا: ٨: ٤٣).
>
> "فهم ينظرون دون أن يبصروا ويسمعون دون أن يسمعوا ويفهموا"
>
> (متى: ١٣:١٣).

. ويشير عيسى عليه السلام أيضا لطهارة الحواس كرمز لطهارة القلب:

"العين مصباح الجسد، فإن كانت عينك سليمة يكون جسدك كله منــــورا. وإن كانت عينك سيئة، يكون جسدك كله مظلما. فإذا كان النور الذي منك ظلاما، فما أشد الظلام"

(متى:٦: ٢٢-٢٣).

الإســــلام

طهارة الحواس في الإسلام ترتبط أيضا بطهارة الجانب الروحي في الإنسان، وبهـــذا يعتـــبر التطهر جزءا أساسيا في عملية النمو الروحي. إن منهج ونظام التطهر في الإســـلام يمتلـئ بالرموز، ويشير كل حس من الحواس إلى بعد روحي معين.

"لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"

(الأعراف:٧: ١٧٩) .

في الإسلام الطهارة الجسدية التي تتم قبل الصلاة تتبع نظاما له مُدلول خاص، فالماء يستخدم لغسيل الوجه واليدين ومقدمة الرأس والرقبة والقدمين. وتبدأ عملية التطـــهر (الوضـــوء) بإعراب الإنسان عن "النية" في تهيئة وجوده لاستقبال النور. ويبدأ الوضوء بغســـل الفـــم للدلالة على تطهير اللسان من اللغو ومنكر القول، ثم الأنف وهي وسيلة التنفس الذي يرمـز إلى الحياة، ثم الوجه بأسره دلالة على طهارة العينين التي ترمز إلى البصيرة. أما غسل اليديـــن فيرمز إلى العمل المتكامل، ومقدمة الرأس إلى طهارة العقل، ثم غسل الأذنين الذي يتضمـــن معنى القدرة على سماع كلمات الحق، ثم الرقبة للدلالة على العلاقة التي تربط الجزء العلـوي للإنسان وبه العقل مع باقي أجزاء الجسد، ثم طهارة القدمين التي ترمز إلى جهاد الإنسان في كل خطوة يخطوها بحثا عن الحياة الحقيقية.. وهناك آية من آيات القرآن الكـــريم تعـــرض لضرورة الطهارة كتحضير مبدئي يسبق الصلاة المنسكية المقدسة، حتى في الأوقات الـــتي لا يتوفر فيها الماء حيث يمكن للإنسان أن يتيمم. إذاً ففكرة التطهر كمفهوم هي التي يرمز إليها منسك الوضوء ..

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُـــمْ وَأَيْدِيَكُـــمْ إلى

الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"

(المائدة: ٥: ٦) .

الخلاصة

الطهارة مبدأ جوهري في كل الأديان، بغض النظر عن اختلاف الطقوس التي ترمز لهذه الطهارة من دين إلى آخر، فبينما نجد أن الماء هو الوسيلة الرئيسية للتطهر في معظم الأديان، فإن التنفس بعمق يعتبر هو الوسيلة إلى ذلك في الديانة الطاوية. في المسيحية لا توجد تعاليم معينة أو طقوس محددة لطهارة الجسد. ونجد في الإسلام تعاليم واضحة عن كيفية التطهر وتوقيته، وتتكرر عملية التطهر في الإسلام خمس مرات يوميا قبل كل صلاة. وتتم الطهارة أو الوضوء تبعا لنظام معين. وفيما تحمله عملية الوضوء من رموز هناك رسالة عميقة يمكن للإنسان أن يفهمها ويشعر بها مع استمرار الممارسة.

الديانات توجه الإنسان للوصلة بالقوة العليا الموجودة في هذا الكون

جميع الديانات تدعو الإنسان إلى الارتباط بالقوة الروحية لمصدر علوي، فبها تنبعث فيه الحياة الروحية، ويتطهر قلبه، تلك حقيقة تجلت في الديانة المصرية القديمة، الطاوية، الهندوسية، البوذية، اليهودية، المسيحية والإسلام.

قدماء المصريين

لقد أقر قدماء المصريين وجود القوى الروحية العلوية كمصدر للحياة وللعطاء الدائم، وتلك العقيدة هي التي أسبغت المعنى على صلواتهم. والصلاة على الأموات هي الصلاة المعروفة لدى المصريين القدامى، حيث يتجمع المصلون للصلاة على الشخص الميت، وذلك لمساعدته في رحلته إلى الحياة الأخروية. ولقد بنيت المعابد بطراز معماري معين، وبطريقة تصاعدية للدلالة على الطريق الذي يسلكه الإنسان في حياته للارتباط بالمقدس.

الطاوية

في الطاوية الدخول في الوحدانية يتحقق جزئيا عن طريق التأمل الذي يعتبر وسيلة أساسية لتدريب الروح حتى تحقق هدفها. وهناك ثلاث قواعد أساسية مطلوبة في عملية التأمل، هي على الترتيب :– الإيمان – المثابرة – قوة الإرادة.

"الإيمان والمثابرة وقوة الإرادة تشبه تسلق جبل شديد الوعورة يحتاج المرء فيـه إلى شجاعة تمكنه من بلوغ القمة"..

.(Ching Yuen: 1997-23)

والدخول في الوحدانية يعني بلوغ العقل الـ"طاو" حيث الإدراك بأنه ليس هناك "غيرية".

"الطريق لانهاية له
ومع ذلك فإن التدرب باهتمام يجلب السكينة والنظام
وبالعزم والمثابرة يبلغ إيماننا درجة اليقين
في الداخل والخارج، وفي الإقدام، وفي الاستسلام
الطريق سمته التناغم
والاهتمام بالتجرد من النفس".

الهندوسية

الارتباط بالمصدر العلوي في الهندوسية أفصحت عنه رياضة "اليوجا" وكذلك التغني بالكلمات المقدسة "للفيدا" واسم براهما "أوم".. وكلمة يوجا تعني باللغة السنسكريتية (الاتحاد مع الله). والاتحاد مع الله أو الاتحاد مع القوة الكونية العليا يحدث عندما يتوقف تعلق الإنسان بأي شيء آخر. والتحكم في الحواس مطلب أساسي يتحقق معه اللقاء المقدس بين الإنسان وربه.

"عندما يجري العقل سعيا وراء حواسه الجوالة، فإنه يحمل الفهم بعيدا كما تحمل الرياح السفن على ظهر الماء"

.(Gita: 2: 67)

لذلك كانت اليوجا تدريبا يتخلص فيه الإنسان من التشتت الذي تسببه الحواس، وحينئذ تقوم وصلته بربه. فاليوجا تدريب على بلوغ درجة من الطهارة الروحية، والتركيز يُمكّن الإنسان من الارتباط بالمصدر العلوي، واليوجا في ذلك تحاول اكتشاف عالم الوعي الداخلي، وتساعد على تكامل عالمي الوعي واللاوعي.

"إن الأبعاد الموجودة حاليا ليست هي الحدود المطلقة لوجودنا"

.(Radhakrishnan:- The Bhagavadgita, p.193)

"عندما يجلس على مقعده، ويركز عقله على نقطة واحدة ويتحكم في تفكيره وحواسه فليمارس اليوجا من أجل تطهير الروح"

. (Gita: 6: 12)

"الشرط الأساسي هو أن يدرب المرء نفسه على النزاهة، يجب أن ننمي قدرتنا على رؤية الأمور كما يراها الذكاء الفطري الحر الذي لم ينالـــه التشـــتيت، ولتحقيق ذلك يجب أن نبعد "النفس" عن الطريق"

. (S.Radhakrishnan:– The Bhagavadgita, p.193)

إن الوصلة بمن هو مصدر كل الحياة يحرر الإنسان من محدوديته ويجعله حرا بحق، والمنـــهج المتبع لإنجاز ذلك الهدف الروحي تم توصيفه كالآتي:

"باستبعاد كل الأشياء الخارجية من دائرة التفكير، وتركيز الرؤية فيما بـــين الحاجبين، والتنفس شهيقا وزفيرا عن طريق الأنف، يحقق الحكيم- وهو الذي تحكم تماما في حواسه وعقله وفكره، بنية التحرر، وتخلص فعلا من الرغبـــة والخوف والغضب- الحرية إلى الأبد"

. (Gita: 5 :27- 28)

الوصلة بمصدر الحياة تتم أيضا عن طريق ترديد اسم "المطلـــق": "أوم"، فـــترديد الاســـم يستحضر الوجود الحقي، ويساعد على التحكم في ضبط تجوال الحواس وتقييدها، وكذلـك يستجلب الشعور بالتوحد مع المعنى الحقي المستحضر.

البـــوذيـــة

تدعو البوذية الإنسان إلى الارتباط بـ"الحقيقة الواحدة" من خلال التأمل، والتركيز يحـافظ على سلامة العقل وهدوئه، والرجوع به إلى جوهره النقي. وبمجرد أن يتطهر العقل مـــن أهواء هذه الحياة الدنيا فإنه يكون مهيئا تماما للاستنارة الحقية، وهذه الاستنارة -فيما يخـص التأمل- تتحقق من خلال قدرة الإنسان على الحد من تداخل أفكاره وحواسه، وبذلك تتاح له فرصة التيقظ الروحي وحينئذ لا يكون الإنسان متعلقا إلا بالحقيقة. هذا وترديـد اسـم "بوذا" يساعد على التركيز.. والهدف من التأمل هو : "إن تولد طاهرا نقيا مثـــل زهـــرة اللوتس البيضاء" (TB p.218) .

"السمادها" في البوذية هي "حالة من الاستغراق في التأمل العميق، وذلك بالتركيز الموجه إلى نقطة محددة هي الطبيعة الجوهرية للأشياء، متحررا تماما من التفكير الذي يفرق ويعدد، ومتخلصا من النظرة الازدواجية للأشياء".

إن المواظبة على التأمل والتركيز بانتظام مطلوب لتطهير الروح من الأعمال السلبية الناجمة عن الجهل. والتأمل ينتج عنه نمو الإنسان روحيا، ويعطيه مددا روحيا يجعله متمتعا بـ"رحمة لا نهاية لها ومهارة وحكمة".

الكتاب المقدس

في الكتاب المقدس نجد الإرشاد إلى وصلة الإنسان بالقوة العليا في رسالات الأنبياء منذ عهد بعيد، فقد تعلم الإنسان أن يدعو باسم الرب:

"وعندئذ ابتدأ الناس يدعون باسم الرب"

(التكوين: ٤: ٢٦).

كذلك تعلم الإنسان أن يخر ساجدا على وجهه طالبا الوصلة بالحضرة الإلهية. ثم صارت الصلاة المنسكية واجبا دينيا علمها الأنبياء لأقوامهم كما نرى مع موسى وعيسى حيث أرشدوهم أن يكون دعاؤهم لله بالكلمات المقدسة، فتلاوة تلك الكلمات يساعد على يقظة الوعي الروحي الداخلي في الإنسان.

العهد القديم

نقرأ في العهد القديم أن إبراهيم نادى ربه:

"وشيد هناك مذبحا للرب ودعا باسمه"

(التكوين:١٢: ٨).

لقد كان ذلك المنهج وسيبقى وسيلة تساعد الإنسان على تذكرة نفسه بوجود وتجلي القوة العليا في كل وقت وحين. ولقد علّم موسى عليه السلام شعبه أن الوصلة بربهم تستدعي تطهير القلب، وقال موسى عليه السلام لهم إنه بالصدق والإخلاص في طلب الرب يحصلون على العون الإلهي:

"ولكن إن طلبتم من هناك الرب إلهكم ملتمسينه من كل قلوبكم ونفوسكم فإنكم تجدونه"

(التثنية:٤ : ٢٩).

دعا موسى عليه السلام شعبه للتعبير عن دوام طلبهم لله بتذكر كلماته صباحا ومساءا، وبتعليم هذه الكلمات لأولادهم بكل ما يملكون من قدرات قلبية وروحية، وقد صار نص تعاليم موسى عليه السلام هو الكلمات التي يرتلها اليهود في صلواقم:

"اسمعوا يا بني إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد، فأحبوا الرب إلهكم من كل قلوبكم ونفوسكم وقوتكم. وضعوا هذه الكلمات التي أوصيكم بها على قلوبكم، وقصوها على أولادكم، وتحدثوا بها حين تجلسون في بيوتكم، وحين تسيرون في الطريق، وحين تنامون، وحين تنهضون، اربطوها علامة على أيديكم، واجعلوها عصائب على جباهكم. اكتبوها على قوائم أبواب بيوتكم وبوابات مدنكم"

(التثنية:٦: ٤– ٩).

العهد الجديد

في العهد الجديد يذكر عيسى عليه السلام حوارييه بحاجتهم الدائمة للعون والمدد من القوة العليا:

"وضرب لهم مثلا في وجوب الصلاة دائما ودون ملل"

(لوقا: ١٨: ١) .

"اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم"

(متى: ٧:٧) .

إن الكلمات المقدسة التي علمها السيد المسيح عليه السلام لحوارييه إنما هي تعبير عن تطلع الإنسان إلى الوصلة بالآب، المصدر الأعلى، والقوة العليا. وتقول كلمات الصلاة:

"أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك! ليأت ملكوتك! لتكن مشيئتك على الأرض كما هي في السماء! خبزنا كفافنا اعطنا اليوم! واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن للمذنبين إلينا! ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين"

(متى:٦ :٩– ١٣) .

إن تذكر الله دوما والدعاء باسمه هو الطريق لتقوية الإنسان معنويا من خلال النمو الروحي. وهذا هو طريق النجاة من إغواء الشر له، وذلك هو معنى أن يكون الإنسان "متطهرا".

الإســــلام

الوصلة بمصدر الحق العلوي في الإسلام يمكن تحقيقه عن طريق إقامة الصلاة، فـــالصلوات المنسكية وسيلة للتطهر والنمو الروحي، ولقد مثل رسول الله ﷺ الصلوات الخمس اليوميـــة بنهر يغتسل فيه المرء خمس مرات يوميا، فيتطهر من أدرانه[١٦]. إن الصلاة كما جـــاءت في تعاليم الإسلام ثرية بالمعاني والرموز التي يجدر بالإنسان أن يتدبرها ويتأملها على الدوام.

الصلاة في الإسلام تقام وفقا لنظام محدد، فمع بداية كل ركعة يقرأ الإنسان فاتحة الكتــاب، وهي من كلمات الله التي يجب أن يتلوها الإنسان ليخاطب بها ربه. تتضمن السورة الكريمة في بداياتها "الحمد الله رب العالمين"، و يتوسطها التأكيد على كونه المعبود الذي يملك العون "إياك نعبد وإياك نستعين"، وتنتهي بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم "اهدنـــا الصـــراط المستقيم". وقراءة هذه السورة تعني أننا نتوجه إلى الله بكلامه المقدس. والتركيز على كـــل كلمة وعبارة، مع اليقين الداخلي بكونها كلمات الله، يتيح الفرصة للجـــانب الحقـــي في الإنسان أن يسبغ وجودنا بأسره. وفي العادة تتبع تلاوة هذه السورة سورة أخرى قصيرة، أو بعض من آيات القرآن الكريم، فتلاوة كلمات الله يوقظ الجانب الحقي في الإنسان، ويصلـه بأصله الروحي.

إن كل صلاة تتكون من عدد ركعات يتراوح بين الاثنين إلى الأربعة، ويبدأ المرء صلاتـــه بالوقوف مستقيما، ومقيما "النية" للصلاة. هذه الإقامة والوقوف في استقامة تتضمن الدلالة على الجدية والتهيئة، واحترام هذه اللحظات، أي الاستعداد لمخاطبة الله وتلقّـــي نفحاتـــه وأنواره. بعد ذلك يركع المرء منحنيا بنصفه العلوي، وبحيث يتقابل كل من العقل والقلب في خط أفقي واحد. وبينما يعبر الإنسان بركوعه عن تعظيمه وتمجيده لله، فإن حركة الركـوع

---

[١٦] حديث رسول الله صلى اللهم عليه وسلم يقول: "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقي من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا " (صحيح البخاري) .

ترمز أيضا إلى أن القلب والعقل معا قد أصبحا على استعداد لتلقي نفحات الله. ثم يعتدل المرء مستقيما مرة أخرى ومهيئا نفسه للسجود، سجود عبودية وتسليم كامل لله. هكذا ينهي المرء ركعة ليبدأ أخرى، وفي منتصف الصلاة يجلس المرء على الأرض بطريقة معينة ليقرأ التحيات، والتي يتوجه فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤكدا حضرته الروحية، ثم ينهي المرء صلاته بالالتفات إلى اليمين مرة وإلى اليسار أخرى قائلا: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" وهو ما يعني طلب السلام والبركة والرحمة لنفسه.

الناس جميعا في الدين الإسلامي سواء أكانوا في المشرق أم المغرب يتوجهون إلى وجهة واحدة في صلاتهم، ، وهي الكعبة أو "بيت الله" الذي هو "القِبلة". إن توجه الإنسان إلى "البيت الحرام" يرمز إلى أن رسالة الله باقية على الأرض، وأن طلب الإنسان لها يتم على الأرض.

إن الصلوات الخمس فرضت على مدار اليوم كله مع حركة الأرض حول الشمس كمركز لها يرمز إلى أن الحق هو المركز الذي تدور حوله حياة الإنسان. وانتظام الصلاة فجرا وظهرا وعصرا ومغربا وعشاء، هو تذكير للإنسان على مدى اليوم بعلاقته بالله.

من الممكن أيضا التأمل في كل وقت من مواقيت الصلاة، فصلاة الفجر تشير إلى بزوغ النور الذي ينحي الظلام بعيدا، فالصلاة تساعد الإنسان في التغلب على الظلام الذي يغلف حياته. وصلاة الظهر ترمز إلى الحال الذي تكون فيه قوة النور وشدته كاشفة لكل شيء، وصلاة العصر تشير إلى قرب زوال النور واختفائه وراء حجاب، وصلاة المغرب تعنون بدء دخول الإنسان في حجاب من الظلام، وصلاة العشاء ترمز إلى دخول الإنسان في حال من الظلام الدامس الخالي من أي نور، وبالرغم من ذلك فهو يستمر في طلبه للقوة العليا. إن مداومة الإنسان على الصلاة في جميع الأوقات تساعده على التركيز على الهدف الأسمى من وراء وجوده وحياته، ألا وهو الوصلة بالله. ومع حركة تعاقب النور والظلام فهو يتطهر روحيا ويقوي إرادته.

"وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ"
(العنكبوت: ٢٩: ٤٥) .

الخلاصة

انطلاقا من الإيمان بالقوة العليا دعت كل الديانات والرسالات السماوية الإنسان إلى العمل

على استنارة داخله من خلال الارتباط أو الصلة بتلك القوة، وزودت الديانات الإنسان بالوسائل اللازمة لتحقيق هذا الارتباط أو الصلة. وكانت الصلاة على الموتى وهي المعروفة لدى قدماء المصريين، الوسيلة التي أعربوا بها عن عقيدتهم بأنه من الممكن طلب الرحمة من هذه القوة العليا من أجل موتاهم. وفي ديانات الشرق الأقصى كانت الصلاة تعني إمداد الصوت الداخلي في الإنسان بالفرصة للتعرف على خالقه.

وبغض النظر عن طرق التعبير المختلفة يعتبر "التأمل" وسيلة فعالة وراسخة لتمكين الروح من الاستيقاظ والتعبير عن نفسها ، والحياة الداخلية من إدراك الحقيقة. فـ"اليوجا" تستهدف الوصلة بالله والتوحد معه، وفي الطاوية الصلاة تعني الارتباط بالـ"طاو"، وفي البوذية الصلاة وسيلة للاستنارة القلبية والعقلية، وفي اليهودية والمسيحية استخدمت الكلمات المقدسة في التوجه إلى الله، ومع ذلك يمكن للإنسان استخدام كلمات أخرى يصلي بها لله ويطلب منه العون.

وفي الإسلام شملت الصلاة كل المفاهيم الموجودة في الديانات الأخرى، فهناك الصلاة على الموتى والتي لها قواعد محددة، كما أن التركيز على القلب أثناء الصلاة لفتح باب لوصلة الإنسان بمصدر الحق العلوي من خلال استخدامه لكلمات وآيات الله هو الهدف الأساسي من الصلاة. كما أن الإسلام ينظم مواقيت الصلاة المنسكية بطريقة توقظ فيه الإدراك الروحي على مدار اليوم. والإنسان يعبر كذلك عن علاقته بالله من خلال الحركات التي يؤديها في صلواته.

الإنسان يمكن أن يكون أداة خير ومحبة في يد القوة العليا

عندما يكون الإنسان على وعي وإدراك للجانب المقدس داخله، فإنه يسعى للمحافظة عليه حيا وذلك بربط نفسه بمصدر حقي علوي. هذا الارتباط من الممكن استمراريته وصيانته إذا ما أتاح الإنسان نفسه لتكون أداة يستخدمها الأعلى حتى يفيض الحب المقدس ويصل إلى الناس أجمعين. وكلما أفاض الإنسان بالحب على الآخرين كلما استقبل مددا من المحبة يغذيه ويطهره. إن الصدقة والزكاة هي التعبير العملي لهذا النوع من الفيض الروحي. إن القيام بالتصدق أو التزكي فعل فيه العطاء يكون بذاته وسيلة للأخذ.

لقد شجعت كل من الديانة المصرية القديمة والطاوية والهندوسية والبوذية واليهودية والمسيحية والإسلام، مشاعر التعاطف والحب والتكافل بين الناس. وقد استخدم كل منها ألفاظا وعبارات مختلفة للتعبير عن هذه العلاقة الأساسية، وكذلك لإيقاظ مشاعر الناس تجاه حاجات الآخرين بوسائل متعددة. لكن جميعها يستهدف إعانة الإنسان في جهاده للتغلب على نفسه بشحها وأنانيتها مما يجعله أهلا لتلقي الرحمة من القوة العليا.

قدماء المصريين

إن الحضارة المصرية القديمة، تأسست على نكران "الفردية" وتأكيد مبدأ "المجموع"، فالفرد يُنظر إليه كجزء من "الكل" وهو المجتمع أو الإنسانية، أو الطبيعة كلها. ومشاركة ومؤازرة الآخرين كانت مبعث سعادة الفرد. ولقد كانت الزراعة كنشاط رئيسي عند المصريين القدماء تلعب دورا بالغ الأهمية في خلق ودعم هذه القيم، فطبيعة الزراعة تستلزم أسلوبا معينا للحياة، يحتاج فيه كل واحد للآخرين، وتكون فيه روح الفريق أساسا لأي نجاح، وقد

تعاون الجميع في العمل في هذه الحضارة بعفوية وتلقائية وبروح المحبة والإخلاص. وفي مثل هذا المجتمع كانت الرعاية المتبادلة والتعاطف مع الفقير والضعيف، جزءا من المباديء العامة والسلوك الأخلاقي. كان "هاتور" رمزا لهذا التعاطف الإنساني الذي كان يلقى كل التقدير والاحترام. وكان المصريون يعبرون عن حبهم للمقدس الذي يملأ القلوب بالتعاطف السائد بينهم. ولقد أوجدوا للطبيعة رمزا جسدوه في صورة امرأة للدلالة على الحب والرعاية، وبذلك ضربت الحضارة المصرية القديمة مثالا حيا للإنسانية في تعاملها بعضها مع البعض الآخر.

الطاوية

في الطاوية تعتبر الأخلاق والمعنويات السامية هي الطريق الأساسي في بلوغ الاتزان بين الـ"ين"و الـ"يانج" وللوصول إلى التناغم مع الـ"طاو"، فالحب لا ينبع إلا من قلب إنسان متوازن، الحب لا يعترف بـ"أنا" و"أنت"، بل يتعالى فوق التعدد الظاهر ليصل إلى الوحدة الحقيقية. وعلى هذا فالمرء لا يستطيع أن يسعد بحياة مليئة بالشقاء والتعاسة، ولذلك فمساعدة المحتاجين ومد يد العون للفقراء يعتبر فعلا طبيعيا وتلقائيا.

الهندوسية

في الهندوسية يعتبر الإنسان أداة لتجلي الحب الإلهي من خلال تقديم الهبات والمساعدات لكل من يحتاجها، وتلك وسيلة من وسائل التطهر، فبها يطهر المرء نفسه من خلال تقديم الحب غير المشروط وهو في حالة من التسليم الكامل للأعلى، والإدراك التام بأن العطاء من الله وليس من الإنسان بذاته. هذا التعليم واضح غاية الوضوح في الـ"جيتا"، فالإنسان يتعامل مع الله وهو يقدم العون للآخرين، وليس المهم في هذا العطاء قيمة أو نوعية ما يعطي الإنسان من الناحية المادية، إنما ما يهم بحق هو صفاء ونقاء القلب الذي يعبّر عن حبه تجاه الآخرين، وفي نصوص "الجيتا" نقرأ على لسان الأعلى:

> "إنني أقبل كل ما يقدم لي، ورقة كانت أم زهرة، فاكهة كانت أم ماء، طالما كانت المحبة والقلب الطاهر من وراء هذا العطاء"
>
> .(Gita; 9: 26)

البـــــوذيـــــة

في البوذية الإنسان مدعو ليكون أداة حب ومحبة وذلك من خلال تقديم "العطاء الحقيقـــي" وهو "الذي يقوم به الإنسان وقد ملأته السعادة ناسيا كونه هو العاطي، ومن يتلقى العطاء، بل والشيء المعطى أيضا" (TB: p. 336) . العطاء الحقيقي يطهّر الإنسان من الأنانية، ويجب أن يكون عطاء غير مشروط:

> "يجب عليه ألا يتوقف أبدا عن التصدق على كل الكائنات"
> (GB:47 : 10)).

توضح التعاليم البوذية أن "العطاء الحقيقي ينبع من قلب متعاطف مع الآخرين يسبق عطـاؤه أي طلب منهم، والعطاء الحقيقي هو الذي يدوم، وليس مجرد مصادفة لا تتكرر، والعطـــاء الحقيقي هو الذي لا يعقبه ندم، أو إطراء المرء لنفسه"(TB: p. 334).

> "العطاء الحقيقي ينبع تلقائيا من قلب شديد الرحمة لا ينتظر الجزاء، ولكنـــه يتمنى الدخول في حياة الاستنارة"
> .(TB: p. 334)

عندما يساعد المرء الآخرين ويعاونهم ويقدم لهم ما يحتاجونه، فهو بذلك يضع أساسا لبنـــاء يعلو ويزدهر. فقد يضحي إنسان ما بحياته كلها إنقاذا لحياة شخص آخر، وهو بذلـــك لا يفقد حياته الحقيقية بل يكسبها.

> "بالعطاء والمحافظة على الأخلاق الكريمة يوضع الأساس المطلوب لبناء حصـــن فوقه"
> .(TB: p.334)

والعطاء الحقيقي لا يكون بالضرورة مالا، بل قد يكون عملا بدنيا أو شفقة، أو حتى نظـرة حنان يوجهها للآخرين فتعطيهم السكينة، أو ابتسامة، أو كلمة طيبة.

عندما يتطهر المرء من الجشع والحسد، ومن الغيرة والأنانية، فإنه يصل إلى الحقيقـــة، بـــل ويصبح هو نفسه حقيقة حين يشعر بـــ"سكينة داخلية هائلة إذا ما رأى أي شخص سعيدا ومسرورا، وهكذا تتساوى مشاعره تجاه الناس جميعا" (TB: p. 340).

العطاء الحقيقي يعكس نقاء روحيا، ويساعد على النمو الروحي.

الكتـــاب المـقـــدس

في الكتاب المقدس نرى أنه عندما يستشعر الإنسان مشاعر الحب الإلهي يصبح هو نفســه وسيلة يفيض بها ذلك الحب على المحتاجين..

العهـــد القديـــم

هناك تذكير دائم من موسى عليه السلام لشعبه بصفات القوة العليا، الله، ربهم "الـــذي لا يحابي وجه أحد ولا يرتشي. إنه يقضي حق اليتيم والأرملة ويحب الغريب فيوفر له طعامـــا وكساءا" (التثنية: ١٠ :١٧- ١٨).

إن الله يعطي من خلال هؤلاء الذين يُسلمون أنفسهم إليه، وتنفذ مشيئته وتتجلى في العالم من خلالهم كذلك. وهناك قول مأثور في التراث اليهودي مفاده: "إن القانون الإلهي يمد الفقـــير بحاجته ويضع القيود على المزارع الذي يطلق العنان لجشعه" (Oxford Dictionary of the Bible).

"ازرع أرضك واحصد غلتها ست سنين، ثم أرحها في السنة السابعة واتركها ليأكل منها فقراء شعبك. وما فضل عنهم تقتاته وحوش البرية. وهكذا تفعـل أيضا بكرْمك وزيتونك"

(الخروج: ٢٣: ١٠-١١)

"وعندما تحصد محصول حقلك لا تحصد زواياه ولا تلتقط مـــا يتنـــاثر مـــن حصيدك. لا ترجع لتجمع بقايا عناقيد كرْمك، ولا تلتقط ما ينفرط منها، بل اتركه للمسكين وعابري السبيل، فأنا الرب إلهكم"

(اللاويين: ١٩: ٩- ١٠).

العـــهـــد الجـــديـــد

لقد كان المسيح عليه السلام نفسه تجليا للحب الإلهي، ودعا حوارييـــه كـــي يستشـــعروا بأنفسهم محبة "الآب" لهم،وأوضح لهم أنه إذا ما فتح المرء قلبه لأخوته من البشر لشعر بحب الله له الذي هكذا ينتشر بين الجميع.

"من كان عنده ثوبان، فليعط من لا ثوب له، ومن كان عنده طعام فليعمـــل كذلك أيضا"

(لوقا: ٣: ١١).

"عندما تقيم وليمة أدعو الفقراء والمعاقين والعرج والعمي"
(لوقا:١٤: ١٣) .

إن هؤلاء الذين يتابعون عيسى عليه السلام يتخلصون من تعلقهم بالأشياء المادية، وعليهم أيضا أن يتحرروا من ذواتهم المحدودة، ويقدموا أي شيء يملكونه إلى المحتاجين:

"إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع كل ما تملك ووزع على الفقراء فيكون لك كتر في السماوات. وتعالى واتبعني"
(متى١٩ :٢١).

إن الرحمة هي التي يجب أن تهيمن على روح العاطي لا الشعور بالأفضلية والتعالي:

"احذروا من أن تعملوا بركم أمام الناس بقصد أن ينظروا إليكم وإلا فليس لكم مكافأة عند أبيكم الذي في السماوات. فإذا تصدقت على أحد، فلا تنفخ أمامك في البوق، كما يفعل المراءون في المجامع والشوارع، ليمدحهم الناس. الحق أقول لكم: إنهم قد نالوا مكافأتهم. أما أنت، فعندما تتصدق على أحد فلا تدع يدك اليسرى تعرف ما تفعله اليمنى. لتكون صدقتك في الخفاء، وأبوك السماوي الذي يرى في الخفاء، هو يكافئك"
(متى:٦: ١– ٤).

الإسلام

في الإسلام الإنسان لا يملك شيئا– من وجهة النظر الروحية– ولكنه يُعطي كل شيء حتى حياته، فهي "دين" عليه من الله. والزكاة تذكير دائم للإنسان بتلك الحقيقة، فضلا عن كونها تطهيرا لأي شيء آخر يملكه، على مستوى الحياة الأرضية. والزكاة في الإسلام مثله مثل الديانات الأخرى تعبير عن ارتباط الإنسان بالله من خلال كونه وسيلة تلقي لرحمته وعونه، يفيض بهما على الآخرين الأقل حظا منه في هذه الحياة الدنيا. ولقد لوحظ في آيات القرآن الكريم أنه كلما ذُكِرت فيها الصلاة تبع ذلك ذكر الزكاة، إشارة إلى علاقة كل منهما بالأخرى، فكلما زاد ارتباط الإنسان بالمصدر العلوي للحياة استشعر أن ما يقدمه للآخرين ليس ملكا له، وإنما هو "حقهم"، وأنه بعمله هذا يزداد ارتباطه بالحق، ولقد وصف القرآن حال هؤلاء بقوله:

"وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوم"
(المعارج: ٧٠: ٢٤-٢٥).

الزكاة في تعاليم الدين الإسلامي هي الفرض الذي يعطي للإنسان فرصة للتطهر من خلال أداء واجبه تجاه المجتمع بأسره، فالتعاليم الإسلامية فرضت على المسلم أن يُخرج على ما يدخر من ماله الذي مر عليه حول كامل نسبة ٥و٢ % من قيمته للمحتاج، أما الذين يزاولون النشاط الزراعي فإنهم يُخرجون قيمة العُشر من حاصلاتهم الزراعية إذا كانت تروى بماء المطر، ونصف العُشر إذا كانت تروى بوسيلة ميكانيكية.

"وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"
(الأنعام:٦: ١٤١).

بما أن الإنسان وسيلة عطاء في يد الله، فهذا العطاء لا يقتصر على المال، بل إن كل عمل يأتيه الإنسان انطلاقا من المحبة والرحمة والتعاطف مع الآخرين يجعله متعرضا دوما لنفحات الله ورحماته، وذلك مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن "الكلمة الطيبة صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة"[١٧] وكذلك كقول الحق في كتابه:

"قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى"
(البقرة: ٢: ٢٦٣).

وتعتبر الزكاة المفروضة في تعاليم الدين الإسلامي هي الحد الأدنى الذي يساعد به الإنسان أخاه الإنسان بانتظام كرمز إلى مسئوليته عن ذلك، ولكن الصدقة التي هي عطاء تطوعي لم يوضع لها أي نوع من الحدود، وهناك حث دائم عليها:

"مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي

---

[١٧] حديث رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: "كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة ويميط الأذى عن الطريق صدقة" (صحيح البخاري).

كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"
(البقرة: ٢: ٢٦١) .

الخلاصة

شجعت كل الديانات والرسالات السماوية الناس على التكافل فيما بينهم، ولم يترك الدين الإسلامي الأمر بمجرد اختيار للإنسان، بل تعتبر الزكاة جزءا أساسيا من سلوك المسلم لأنها فرض من الفروض، وركن من الأركان الخمسة للدين الإسلامي. والنسبة المشار إليها في الزكاة على الأموال أو الزروع تعتبر "حقا" للمجتمع يجب أداؤه. على الجانب الآخر هناك تشجيع كبير للإنسان بأن يتصدق ولو بأقل القليل مما يتاح له، حتى ولو بإماطة الأذى عن طريق المارة حتى لا يتأذون به. هذا وقد شجع رسول الله ﷺ الناس على تقاسم أي شيء بينهم حتى ولو كان صغيرا، وأرشد أصحابه بألا يترددوا في التصدق "ولو بشق تمرة"[١٨]. نجد في تعاليم الدين الإسلامي تذكيرا مستمرا للإنسان بأن يجعل من نفسه أداة في يد مصدر الحق العلوي يصل به الخير إلى المحتاج، سواء كان ذلك على المستوى المادي أو المعنوي.

---

[١٨] حديث الرسول: "ليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة" (صحيح البخاري) .

تواصل الإنسان مع الجانب الروحي داخله

إن فكرة أن يشعر الإنسان فعليا بنفسه كروح، من خلال الحرمان من إشباع احتياجاته الجسدية لبعض الوقت، هي الهدف المحوري المقصود من وراء بعض رياضات التقشف والزهد في بعض الديانات، ومن الصوم في الرسالات التي جاء بها رسل الله. وشعور الإنسان كونه روحا هو تجربة هامة للتطهر. فتواصل الإنسان مع الجانب المقدس الكامن داخله عندما يوقف كل رغباته وشهواته الجسدية، هو وسيلة يتحقق بها إدراك الإنسان فعليا بالحياة الحقيقية، كما أن تلك التجربة الروحية ترفع قدرته على استقبال القوى الروحية ممن هو مصدر الحياة.

هذه حقيقة موجودة في العقائد المصرية القديمة والطاوية والهندوسية والبوذية واليهودية والمسيحية والإسلام.

قدماء المصريين

إنه من الواضح تماما في عقيدة المصريين القدماء أن التطور الروحي هو الهدف الأساسي من الحياة كلها. وعلى هذا فالحياة الداخلية للإنسان وكما تتجلى في الضمير الإنساني لها الأولوية في مجالات اهتمامهم، فنجد الكهنة وقد امتنعوا عن تناول اللحم والنبيذ من أجل استقبال وتفسير ما يوحي لهم به الـ"مقدس" (Macmillan Information Encyclopedia of Religion: 225).

. الطـــــاويـــــة

لأن الروح هي جوهر الكائن الإنساني، فيجب أن تُعطى لها الفرصة في توجيه حياته، وبهــذا يعيش الإنسان حياة متناغمة ومثمرة. والتدريب هو وسيلته في إيقاظ قواه الروحية، إلا أنــه ليس هناك تمارين محددة بعينها في العقيدة الطاوية، وإنما هناك نصائح لضرورة تفهم قــانون الــ"طاو" الذي إذا ما فهمه الإنسان استطاع التحكم في رغباته، لا بمجرد الامتناع عنــها، ولكن بإدراكه أن الإثمار الروحي هو أثمن ما يمكن تحقيقه. والنقاء الروحي في الطاوية يعتــبر "الطب الذهبي المقدس". "من خلال عملية الصقل الروحي ينقي الإنسان نفسه، وينفـــض عنها التراب، ويحتفظ بالذهب، وعندها يكون لديه الوسيلة اللازمة لتطوير العلاج الإلهـــي الأبدي" (Hua Ching Ni: 1997:43). إن "صوم القلب" أكثر من الصوم الجسدي هو طريـــق الوصول إلى الــ"طاو". (Macmillan Information Encyclopedia of Religion :225) .

الهنــــدوسيــــة

إن تجربة شعور الإنسان بالجانب المقدس داخله بهدف تطهير الروح والجسد معا، يتم مـــن خلال بعض التدريبات كالصوم عن الكلام، وتنظيم الغذاء، أو الصوم الكامل. والهدف من وراء كل التدريبات هو "أن نـستيح للروح المجال لأن تملك كل كياننا" S.Radha Krishnan, (The Bhagavadgita: p193) .

وفي العقيدة الهندوسية يعتبر التحكم في اشتهاء الإنسان الطعام من الأمور المهمة :

> "إطلاق المرء العنان لنفسه في الطعام، والقرب من الله، أمران لا يتفقان. لذلك يجب عليك بداية أن تبذل جهدا حاسما تسيطر به على لسانك. وبمجـــرد أن يصبح لك الإمرة على لسانك، سوف تدخل باقي الحواس تحت ســـيطرتك بسلاسة"
>
> .(Sai Baba Gita:7: p.1)

إن الطهارة الكاملة تتحقق عندما تكون حياة الروح تسمو فوق ما يحب اللســـان ومــا لا يحب، "وبتضحيتك بكل ما تحب وما لا تحب تصل إلى حالة من الاتزان العقلي، وبتخلصك من الصفات السيئة تكسب الخصال النبيلة".

"فقط بترك أفكارك وعاداتك وسلوكك السيء يمكنك أن تنال الأفكار الطيبة

والعادات والسلوك الطيب"

.(Sai Baba Gita: 7: p. 2)

هناك إرشاد في الجيتا إلى ممارسة الصمت ، كوسيلة من الوسائل لإيقاف سلطة الرغبات والانفعالات الجسدية، مما يعطي الفرصة للجانب المقدس في الإنسان للكشف عن نفسه

"الكلام له تأثير قوي فعال على العقل، وعلى عملية التفكير ككل، إذ أن له قوة هائلة من شأنها أن تربك العقل، و قد تكسر القلب، بل قد تقتلك. وعلى العكس من ذلك فإن (القوة النابعة من الكلام) يمكنها أن تعطيك الحياة والشجاعة وتساعدك على بلوغ هدفك المقدس"

. (Sai Baba Gita: 7: p. 4)

البـــوذيـــة

عندما يتذوق الإنسان الحقيقة يصل إلى حالة داخلية من الطهارة الكاملة أو طبيعة "بـوذا"، وهو في ذلك يحتاج إلى ترويض رغبات وجوده المادي ليصل به إلى ذلك الهدف. وفي البوذية دعوة للناس بأن "تتعلم المثابرة واحتمال مشقة الحرارة والبرودة، الجوع والظمأ، والصبر عندما يساء معاملاتهم، أو عند احتقارهم، لأن التدرب على التحمل هو الذي يطفئ لهيب الأهواء المشتعلة في أجسادهم" (TB: p. 230).

إن تعاليم بوذا تدعو الإنسان أيضا إلى التقشف. ولتجنب الرغبات المثارة عن طريق العين والأذن والأنف واللسان واللمس:

"يجب على الناس تصويب أفكارهم بشأن الاستخدام الأمثل لكل الأشياء. فالاهتمام بالطعام والملبس، يجب ألا ينظر المرء إليه من منطلق المتعة والراحة، بل فقط من منظور حاجة الجسد إليها فحسب، فالملابس ضرورية لحماية الجسم من الحرارة والبرودة الزائدة ولإخفاء العورة، والطعام ضروري لمد الجسد بالغذاء، كما أنه يمكن أن يكون وسيلة للتدريب على كسب الاستنارة وطبيعة "بوذا"، فلا يفسح بذلك مكانا لرغباته الدنيوية، "

. (T.B: p. 230)

بالتقشف يتمكن الإنسان من دحر مصدرين من مصادر الدنس والتلوث هما "الجهل"

و"الرغبة"، فهما اللذان يغذيان في الإنسان الحكم الظالم والأفكار السيئة:

"لو كان الناس جهلاء فإنهم يفتقرون إلى القدرة على التفكير الصحيح والمنطق السليم. وحين يستسلمون للرغبة في حب البقاء، تتوالى بالضرورة شهواتهم وتعلقهم بالأشياء. إن هذا الجوع الدائم لكل ما يسعدون برؤيته وسماعه هو ما يقودهم إلى العادات المضللة والخادعة، حتى أن بعض الناس يستسلمون لرغبتهم في الموت"

. (TB:p160,151)

إن هذين المصدرين من مصادر التلوث ينشران في الإنسان صفات الطمع والغضب والحماقة، وكلها تعوق يقظة البصيرة. والتعاليم البوذية تستهدف إعطاء الإنسان فرصة التطور الروحي، وعندما يتطهر من رغباته وشهواته يشرق الحق من داخله.

الكتاب المقدس

بالرغم من أن الصيام كفريضة دينية منتظمة ومحددة لم يأت ذكره تفصيلا في كل من العهد القديم والعهد الجديد، فقيام الأنبياء والرسل عليهم السلام بالصيام يعتبر حقيقة مؤكدة، وقد ألهم متابعيهم بأساليب مختلفة للصيام. وعلى تعدد أساليب الصوم فهناك فكرة محورية في جميعها وهي: يجب كبح جماح الرغبات الجسدية لفترة من الزمن، لإتاحة الفرصة لتنشيط القوى الروحية داخل الإنسان. وذلك التدريب يطهر الإنسان ويجدد إدراكه ووعيه الروحي.

العهد القديم

يعتبر "يوم التكفير" هو أكبر أعياد التطهر السنوية عند الشعب اليهودي وفقا لقانون موسى عليه السلام.

"لأنه يوم كفارة للتكفير عنكم أمام الرب إلهكم"

(اللاويين ٢٣: ٢٦).

وقد جاء في الكتاب المقدس أن أنبياء بني إسرائيل، بل الأمة بأسرها كانت تشعر في بعض الأحيان حاجتها إلى الصيام حال تعرضها لمشكلة كبيرة. ومن خلال الصيام يجد الجانب الحقي في الإنسان طريقه للتحرر من كثافة الوجود المادي وقد يشهد الإنسان بذلك ميلادا روحيا، أي رؤية يقينية لحقيقته التي تحمل لمحة مقدسة. هنا يصبح الإنسان مؤهلا لكسب

صفات حقية. ويستشهد موسى عليه السلام على ذلك في كتاب العهد القديم بقول الرب:

"أنا الرب إلهكم فكرسوا أنفسكم وتقدسوا، لأني أنا قدوس"

(اللاويين:١١: ٤٤).

هذا ولقد جرت العادة في اليهودية فضلا عن المسيحية أن يصوم الناس في بعض أوقات السنة أسوة بأنبياء الله "موسى وعيسى عليهما السلام" اللذين سبق ومرا بتجارب روحية مثمـــرة خلال فترة صيامهم. وقد أشار كتاب العهد القديم كيف أن الناس قد أبصروا موسى عليـــه السلام وقد صار نورا إلهيا صافيا عند نهاية فترة الأربعين يوما وليلة دون طعام أو شـــراب حيث قالت التوراة:

"وعندما انحدر من جبل سيناء حاملا بيديه لوحي الشهادة، لم يكن يدري أن وجهه كان يلمع لأنه كان يتحدث مع الله. وحيث شـــاهد هـــارون وبنـــو إسرائيل موسى عليه السلام، كان وجهه لامعا، فخافوا أن يقتربوا منه"

(الخروج:٣٤: ٢٩-٣٠).

العـــهـــد الجديـــــد

أشارت نصوص العهد الجديد إلى تجربة السيد المسيح عليه السلام في الصيام، فعيسى الـــذي هو نفسه تعبيرا عن الطهارة والقدسية قام بالصيام:

"وبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا"

(متى:٤: ٢).

لقد نزل السيد المسيح عليه السلام من على الجبل بعد فترة صيام استمرت أربعين يوما وليلة ليقود شعبه وقد أصبح تجليا للنور الإلهي الصافي.

"الشعب الجالس في الظلمة أبصر نورا عظيما، والجالســـون في أرض المـــوت وظلاله أشرف عليهم نورا"

(متى:٤: ١٦).

وقال عيسى عليه السلام أيضا "فكونوا أنتم كاملين كما أباكم السماوي هـــو كامل"

(متى:٥: ٤٨).

لقد أوصل كل من موسى وعيسى عليهما السلام بصيامهم رسالة إلى الجنس البشري كلـه، رسالة تفيد ضمنا أن الإنسان قادر على تذوق حقيقة أنه روح إذا ما استطاع أن يسـيطر على رغباته وشهواته الدنيوية فترة من الزمن، وقد يصبح على درجة من النقاء والطهر حتى أن السماء ترسل رحمتها ونفحاتها إلى الأرض من خلاله.

الإسـلام

في الإسلام تطهير القلب وتذوق الإنسان للنفحة الإلهية في داخله يتحققان من خلال الصوم. وأخبر حديث رسول الله ﷺ أن الإنسان الذي يصوم بحق يكون مكسبه الروحي فـوق أي تقدير بشري، فهو يكون محلا لرحمة الله بلا حدود، حيث قال محمد ﷺ "من صام رمضـان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[١٩]

إن العلاقة الموجودة بين الصوم والإيمان بالله تعني أن الصوم وسيلة لشـهود وحدانيـة الله ببصيرته، وبالتطهر يستيقظ معنى الحق فيه، ويكون قادرا على معرفة الحق تعالى. إن الحديث الشريف أيضا يكشف إلى أي حد يمكن أن يكون الصيام تدريبا لتحقيق التطهر. إذا صـام الإنسان بحق، يكون مؤهلا لتطور روحي يمكّنه من السير قدما في رحلته الروحية، وذلك هو معنى القول الشريف "غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر".

الصوم في تعاليم الدين الإسلامي يمارس خلال شهر رمضان من كل عام، ويبدأ الصيام بقيام النية في الإنسان، والإرادة بأن يمارس السيطرة على رغباته المادية، حتى يتيح للمعنى الحقي فيه التعبير عن نفسه، والتعرض لنفحات الله. وفترة الصوم تبدأ من الفجر وتنتهي عند غـروب الشمس، أي أن الصوم يمتد في فترة النهار ويرمز ذلك إلى أن فترة الصوم هي فترة يكـون فيها الوجود الإنساني متاحا لأن يتخلله النور الإلهي ، لذلك تعدت فكرة الصـوم مجـرد الامتناع عن الطعام والشراب، إلى ضرورة تطهير المرء لجميع حواسه من خـلال صومـه، وبصفة خاصة حرصه على البعد عن لغو الحديث، أو التفوه بكلمات سيئة، وتجنب سمـاع كل تافه ومشين أو غيبة، وعدم تطلع عينيه إلى الآخرين، وهو ما يعني مجازيا عدم التركـيز على أخطائهم وخطاياهم، وذلك كما قال رسول الله ﷺ : "من لم يدع قول الزور والعمل

---

[١٩] مسند أحمد

به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[20]

إن الثمرة الروحية لما يجنيه المرء من صومه رُمز لها بـ "ليلة القدر" وهي الليلة التي أوحي فيها القرآن إلى الرسول ﷺ، هذا وقد درج رسول الله ﷺ قبل البعثة على الاعتكاف في غار حراء، حيث كان يمضي شهر رمضان في الصيام والتأمل، فكان إيحاء الله له بالقرآن رحمة وبركة، وصار ذلك الشهر شهرا للتدريب الروحي من خلال الصوم.

"شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ"

(البقرة: ٢: ١٨٥).

إن معنى ليلة القدر لا يكمن في مجرد كونها ذكرى للحدث العظيم وهو نزول الوحي بالقرآن الكريم، فقد صارت رمزا لحلول بركة الله على الإنسان، فمن يصوم بحق يكون أهلا لليلة القدر:

"لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ"

(القدر: ٩٧: ٣).

الخلاصة

المقصد من الصيام في كل الأديان هو إيقاظ وعي الإنسان بالجانب الروحي أو الحقي فيه. فاللمحة الحقية في الإنسان هي الشعلة التي تضيء الروح والعقل، وهي القادرة على تحويل حاله من الغلظة والجفاف إلى حال آخر من الرقة والطهارة. وقد تنوعت الوسائل التي تُظهر هذا الجانب الحقي من ديانة إلى أخرى، ففي بعضها تكفي الإرادة والرغبة في الطهارة الروحية لتحقيقها، كما هو الحال في الديانة الطاوية. ويؤكد بعض آخر على ضرورة الممارسة الفعلية، وبخاصة الصوم، كوسيلة فعالة لليقظة الروحية. في العقائد المصرية القديمة كان الصوم أمرا مقتصرا على الكهنة. وفي الهندوسية الصمت جزء من الصيام. وفي اليهودية والمسيحية التركيز على الامتناع الكامل عن الطعام في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى يكون الامتناع عن تناول بعض الأطعمة لفترة محددة. أما في الإسلام فمنهج الصوم كان

---

[20] صحيح البخاري

واضحا ومنظما، لا يشمل فقط الامتناع عن الطعام بل أيضا عن أي فحش في القـــول أو السلوك. الصوم إذن في مضمونه نوع من أنواع التطهر، ويكون أكثر فاعلية إذا ما اقـــترن بالعبادات التي تمكّن الإنسان من إقامة صلة بالأعلى. وفي شهر رمضان شهر الصيام يفضـــل أن يزيد المرء من صلاته وقراءته للقرآن بقدر المستطاع. ولا تنتهي عملية التطـــهر بإنتـــهاء الشهر الكريم، إنما هي ممارسة دائمة وتدريب مستمر يستهدف دفع الإنسان قُدما في طريــق التطور والرقي الروحي.

إقامة صلة بالقوة العليا الغيبية عن طريق الارتباط بمصدر إرشاد على الأرض

حين يعطي الإنسان الآخرين، فإنه بذلك يكون موضعا للأخذ ممن هو أعلى، فهو كـأداة يكون مرتبطا بمصدر إنساني علوي، والله يعطي عن طريق وسطائه بلا حدود. أي إن الله هو العاطي الأول والمطلق، بينما رسله والقديسين والمعلمين الروحيين- وبغض النظر عن الأسماء التي نطلقها عليهم- هم في الواقع المتصلون بالله اتصالا مباشرا، وعن طريقهم يصل النـور وينتشر.

لقد أكدت كل من الديانة المصرية القديمة والطاوية والهندوسية والبوذية واليهودية والمسيحية والإسلام، على أهمية البحث عن معلم روحي يقود الناس في بحثهم عن الحقيقة.

قدمـاء المصريـين

الناس في الديانة المصرية القديمة جسدوا مبدأي الخير والشر في صورتي "أوزوريس" و"ست"، حيث صار "أوزوريس" روحا غادرت هذه الحياة الدنيا، بينما واصل ابنه "حورس" الجـهاد ضد "ست". و"حورس" يرمز للإنسان الذي اتخذ جانب الخير، وهو يظهر في صورة صقر له نظرات نفاذة تشير إلى اليقظة الروحية، وهو يمثل نموذجا لكل من نجح في التغلـب علـى جانب الشر الموجود في داخله، لذلك كان لـ"حورس" قيمة وتقييم خاص في الحضـارة المصرية القديمة، حتى أن كل الفراعنة حكموا باسمه، وبهذا اعتبرهم المصريون مصدرا للنـور والقداسة، وأطلقوا عليهم اسم "الفراعنة" تعبيرا عن مكانتهم ، حيث أن كلمة "فرعـون" تعني " البيت الكبير " الذي يمد الشعب بالأمن والحب والسلام، فهو على ما سبق وصفـه

يكون مصدرا للاستنارة الروحية.

إن بناء الأهرامات للملوك الفراعنة، كان بالنسبة للمصرين هدفا مقدسا، وهو ما يتعارض تماماً مع الفكر السائد عن تسخير الفلاح المصري في بناء الأهرامات، فلقد كان البناة يؤدون عملهم بحب وتفان لأنهم آمنوا بقدسية الفرعون كإيمان المسيحيين بعيسى عليه السلام ، والبوذيين ببوذا، وهكذا. والهرم كمقبرة يعتبر مكانا مقدسا، حيث تبدأ رحلة الملك إلى العالم العلوي من هناك، وتشير الأهرامات في وقوفها وشموخها إلى الوجه الحي لهؤلاء الفراعنة.

الطاوية

"لاوتسو" هو أكثر الأسماء ارتباطا بالديانة الطاوية، إلا أن هناك الكثير من الحكماء الذين ارتبطت أسماؤهم بحركة تطور هذه الديانة مثل "تشانج تزو" وهو حكيم عاش في فترة (٢٥٠ ق.م) وكذلك "شويتشنج تزو" وهو اسم مستعار لكاتب عمل أدبي يعتبر جزء لا يتجزأ من الشريعة الطاوية، إلا أن التاريخ والفترة التي عاش فيها هذا الكاتب لم تحدد بدقة نخرج من ذلك بقولنا أن الطاويين هم أولئك الذين تابعوا المبادئ الأساسية للـ"طاو" دون إضافة القدسية على مؤسسي هذه الديانة. إن "الجورو" أو "المعلم" في الديانة الطاوية ليس له نفس الأهمية الموجودة له في الديانات الأخرى، فالمثالية المضروب بها المثل قد تكون لأي شخص استطاع أن يحقق لنفسه التوازن الداخلي بين الـ"ين" والـ"يانج" ويتبع في حياته سلوكا معنويا وأخلاقيا رفيعا. إن رؤية مظاهر الطبيعة في ضوء قانون "ين و"يانج" يعطي لكل من الشمس والقمر والسماء والأرض والنجوم شخصية خاصة، ويتعلم الإنسان عن علاقته بهذه الكائنات الطبيعية من خلال ممارسة رياضة التأمل التي تساعده على تحقيق هذا التوازن المطلوب.

الهندوسية

إن فكرة أن الإنسان يحقق الطهارة الداخلية، والتطور الروحي عن طريق متابعة مصدر إرشاد له وجود قائم على هذه الأرض، فكرة لها جذور عميقة في الديانة الهندوسية. فـ"كريشنا" هو قائد المركبة النفسية للإنسان، وهو ليس مجرد شخص، بل هو الـ"روح" التي ترشد الإنسان من داخله. وتشير "الجيتا" إلى أن الإنسان حين يجاهد بصدق في طلب

الحقيقة، فإن المعلم يظهر له. وأوضحت تلك الحقيقة من خلال قصة "أرجونا" (وهو المريد الباحث عن طريق الحق)، وكيف أنه وصل في بحثه إلى حالة من الإحساس بالعجز التام والاكتئاب، فإذا بقلبه يسمع صوت "كريشنا" المقدس، وعندها قال له "أرجونا": "إنني أضع نفسي بين يديك فدلني على الطريق". إنه عندما استجاب أرجونا" لتعاليم كريشنا حينها تعلم كيف يجد طريقه بعد أن تطهر من أوهام "عواطفه" الدنيوية. لقد أخذ كريشنا بيده على طريق النمو الروحي والحياة الحقيقية، وهي الحياة التي لا تفنى عند فناء الجسد. إن "كريشنا" هو تجلي النور الإلهي الذي يساعد الإنسان في طريقه للتحقق الروحي.

لقد أوضحت "الجيتا" بجلاء أنه من خلال كريشنا صار من الممكن لـ"أرجونا" استقبال إرشاد الله الواحد المتعالي. من خلال كريشنا استقبل أرجونا الطاقة الروحية التي أخرجته من أوهامه. ومن خلال كريشنا حقق أرجونا الاستنارة وأدرك مصدر الحياة. فتعاليم "كريشنا" لم تكن مجرد كلمات، بل إنها كانت تحمل في طياتها قوة سماوية اجتاحت الظلام ومكّنت "أرجونا" من أن يرى الله المتعالي العظيم الذي ترجع إليه جميع المخلوقات. وهنا قال:

> "تحطمت أوهامي، وكسبت المعرفة برحمتك. يا كريشنا! إني أقف صامدا وقد تبددت شكوكي وظنوني، وسوف أعمل وفقا لكلماتك"
> .(Gita: 18: 73)

يمثل "كريشنا" المعلمين الروحيين الذين هم تجليات القوة الإلهية، أما "أرجونا" فهو يمثل الجنس البشري، أو بالأحرى المريد الباحث عن الحقيقة، ولقد أوضح "كريشنا" "لأرجونا" أنه ليس شخصا، بل مظهرا للحق والحقيقة، وذلك عندما أخبره قائلا إنه "آتمان الموجود في قلب كل كائن" موضحا بذلك أن "براهما" أو "آتمان" أو "النور المقدس" يتواجد دوما في الأرواح المنيرة، ولقد نصح كريشنا أرجونا بأن يصل نفسه بمثل هذه الأرواح ويكون مريدا لها.

من هذا المنطلق نشأت فكرة "الجورو" في الديانة الهندوسية مشيرة إلى أن المعلمين الروحيين يمثلون "كريشنا"، وأنهم يرشدون هؤلاء الذين يبحثون عن الحياة الحقيقية، وتقول الجيتا:

> "حيثما وُجِد كريشنا سيد اليوجا وأرجونا رامي السهم سيوجد حتما النصر مع الصلاح والفلاح"
> .(Gita:18: 78)

يتطهر الإنسان وينمو روحيا عندما يربط نفسه بـ "بوذا" الإنسان المستنير، وهذا الارتباط يعكس حنينه وشوقه إلى الحقيقة، حيث يقوده "بوذا" إلى الخير والصواب عبر الطريق النبيل:

"ثق في الحقيقة يا من تحب الحقيقة
فمملكة الصلاح قائمة على هذه الأرض
ويمكننا أن نبصر الطريق ونتخذ خطوات ثابتة إليها" (GB:1: 7).
"بوذا" "سيدنا" كشف اللثام عن الحقيقة
"بوذا" أظهر الحقيقة وأعلنها
فدعوا حقيقة بوذا تسكن قلوبكم
وأخمدوا في نفوسكم كل رغبة أو شهوة
تخاصم تلك الحقيقة
وعندما يكمل نموكم الروحي تصبحون يوما مثله"
. (GB:2: 12)

إن المعلم الروحي هو في حقيقته رمز لـ "بوذا" فهو القادر على مساعدة المريد في الكشف عن الطبيعة الحقية الكامنة فيه، والتي تشبه الحجر الكريم أو الماسة الثمينة:

"الذهب الخالص لا يتحصل عليه إلا بعد صهر معدنه، وتنقية شوائبه، فإذا ما صهر الناس معادن عقولهم وخلصوها من شوائبها كالشهوات الدنيوية وحب النفس فإنهم بذلك يستخلصون نفس طبيعة بوذا النقية"
. (TB:p 158)

لأن طبيعة بوذا النقية في داخل كل إنسان قد يكسوها التراب، فإنه يعتقد أنه قد فقدها، إلا أنه عند الاستنارة، يتوحد المرء مع بوذا ويصير "تاثاجاتا" (الشخص الذي حقق التماثل مع طبيعة بوذا). أي أن الـ"تاثاجاتا" هو من يكتسب صفات الحقيقة، ويرشد غيره إلى التطور الروحي. ومثل هؤلاء تمتلئ قلوبهم بالمحبة الغير مشروطة، وبالقوة الروحية التي تشرق من داخلهم.

فالحقيقة الكلية المستترة من وراء هذا العالم ترسل بقوتها الخلاقة عبر "التاثاجاتا":

"التاثاجاتا يعيد خلق العالم بأسره
ويشبه السحاب الذي يسقط ماؤه على الجميع دون استثناء
ويملك نفس المشاعر للرفيع والوضيع
للحكيم وللجاهل
لذي العقل النبيل وللفاسق"
.(GB:55: 7)

"وهؤلاء لا ينقل إليهم فورا المعرفة الغير محدودة ولكنه ينظر ويراقب أحوالهم المختلفة"
.(GB:55: 11)

وكلما أتاح المرء نفسه "للتاثاجاتا" كلما توثق رباطه بالحقيقة، وزادت أهليته للتحول والتطور الروحي.

الكتاب المقدس

في الكتاب المقدس دعوة الإنسان إلى التطهر عن طريق الارتباط بالقوة العليا من خلال مصدر إرشاد راقي. فالإرشاد إلى المحافظة على التعاليم الدينية نوع من الارتباط بالرسول، فمن خلال موسى عليه السلام كانت مخاطبة الله لبني إسرائيل، وكان الكشف عن هذه التعاليم. هذا وقد أوضح السيد المسيح عليه السلام جليا أنه ليس الالتزام بحرفية التعاليم بلا روح هو المطلوب، وإنما الالتزام هو علامة على حرص الإنسان على إتباع طريق إلى الحياة الحقية، طريق يخطو إليه من يحب الله ورسوله.

العهد القديم

يوضح العهد القديم لبني إسرائيل أن قدرة المرء على استقبال القوة الروحية السماوية تتوقف على درجة الإيمان بموسى عليه السلام واستقبال إرشاده وهديه، كما يكشف النقاب عن أن الطهارة القلبية ترتبط أيضا بقدرة المرء على تلقي الهدي والإرشاد من مصدر علوي متواجد على الأرض، فقد أرشد العهد القديم إلى تقديم "التضحيات" و"القرابين" وهما يرمزان إلى حاجة الإنسان لقتل المعنى الحيواني الموجود فيه، وذلك يزيده قربا من هذا المصدر العلوي.

العهد الجديد

أضاف عيسى عليه السلام وضوحا إلى هذا المفهوم عندما قال:

"أنا نور العالم من يتبعني فلا يتخبط في الظلام بل يكون له نور الحياة"

(يوحنا:٨: ١٢).

"إن السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول أبدا"

(مق:٢٤: ٣٥).

"أنا هو الطريق والحق والحياة، لا يأتي أحد إلى الأب إلا بي"

(يوحنا:١٤: ٦).

"من آمن بي وإن مات فسيحيا"

(يوحنا:١١: ٢٥).

وهكذا قال عيسى عليه السلام لمن أنكروه:

"أنتم لا تعرفونني ولا تعرفون أبي، ولو عرفتموني لعرفتم أبي أيضا"

(يوحنا:٨: ١٩).

"وقد عرّفتهم اسمك، وسأعرّفهم أيضا لتكون فيهم المحبة التي أحببتني بها وأكون أنا فيهم"

(يوحنا:١٧: ٢٦).

لقد عاش عيسى عليه السلام في قلوب أتباعه، ووجب عليهم أن يعاون بعضهم البعض الآخر في دوام، ويعلموا علم اليقين أن هدي عيسى عليه السلام هو الذي يشملهم جميعا.

الإسلام

في الإسلام يأخذ مبدأ التطهر من خلال الارتباط بمصدر إرشاد أبعادا مختلفة ، فالإيمان بمحمد رسول الله ﷺ كمصدر للإرشاد يعني في نفس الوقت الإيمان بجميع كتب الله ورسله الذين سبقوا الرسالة المحمدية، فهو بهذا النحو يعني ضمنا الإيمان بأن مصدر الإرشاد الإلهي واحد، وأن الرسل جميعا ما كانوا إلا تجليات لذلك المصدر، ولقد ذكر القرآن الرسل جميعا بقوله: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" (الممتحنة: ٦٠: ٦).

هكذا كشف الإسلام عن حقيقة أن الأرض لم ولن تخلو من قائم بالإرشاد الحقي عليها، وقد أشارت التعاليم الإسلامية إلى الكعبة كرمز لوجود النور الإلهي الدائم عليها، والذي عبّر عنه إرشاد جميع الأنبياء والحكماء والروحيين.

لقد ظهر هذا بجلاء في الشهادتين، أي أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تكتمل إلا بشهادة أن محمدا رسول الله ﷺ. بمعنى أن ارتباطنا بالقوة العليا، أي بالله يتم حين نرتبط بمصدر إنساني علوي وهو ما يُرمز إليه بسيدنا محمد ﷺ. ومحمد في هذا السياق ليس مجرد صورة تاريخية بل هو "رسول الله" ﷺ، أي أنه معنى ومثالية مجردة، غير محدودة بشخص أو بذات، ومن هنا فالكعبة رمز لمصدر الإرشاد "المجرد" على هذه الأرض، وإلى دوام وجوده وتواجده عليها، فالكعبة تشير جزئيا إلى أن الإرشاد الإلهي سيبقى على الأرض، ولذا سميت "بيت الله" أو "البيت الحرام" وهو لفظ يعني الوصلة والرباط الروحي

"وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا"
(البقرة: ٢: ١٢٥).

ونحن نقرأ في القرآن أن الكعبة لها وجود عتيق يسبق البعثة المحمدية:

"إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ"
(آل عمران: ٣: ٩٦)،

فالمعنى الذي يتضمنه لفظ "أول بيت" لا يقصد من ورائه البعد التاريخي، ولكنه يرتبط ارتباطا وثيقا برسالات الله للإنسان على هذه الأرض، حيث عُبّر عن ذلك في قوله "هدى للعالمين" وكلمة "أول" تعني انه "عتيق"، أو "أزلي"، أما كلمة "بكة" فهي تشير إلى دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام:

"فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"
(آل عمران: ٣: ٩٥)،

حيث جدد إبراهيم عليه السلام أساس الديانات السابقة من خلال وضع قواعد البيت مع ابنه اسماعيل عليه السلام:

عندما أصبحت الكعبة هي "القبلة" أو الاتجاه الذي يتوجه إليه المسلمون، كان في ذلك إشارة إلى واحدية المصدر الروحي، وصارت لعالمية الإسلام معنى، ولكن ذلك لا يعني

ضرورة أن يتبع الناس جميعا الشعائر والطقوس المحددة من جانب سيدنا محمد ﷺ إنما يعني أن الإرشاد الروحي مصدره واحد، وأن الطاقة النورانية التي صاحبت الحدث العظيم لتواجد الذات المحمدية سوف تستمر لتغمر وتشمل المجال الروحي لهذه الأرض. الكعبة إذن ترمز لهذا الوجود الدائم، على أن هذا الفهم ليس ملزما لأحد، ولكنه يؤكد في المقام الأول الوحدة بدلا من التعصب والتشيع، والتجانس بدلا من التحزب لأصل أو عنصر بين القديم والحديث من الديانات، فالكعبة هي محط أنظار الحجاج، وهم يطوفون من حولها سبعة أشواط.

هنا إشارة أخرى ألمحت إليها تعاليم الرسول ﷺ وهي أن حجاج البيت يجب عليهم زيارة "المدينة" وهي البلد التي ازدهرت فيها الدعوة وبها قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال سيدنا محمد ﷺ "من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني"[٢١] والرسول ﷺ ولا شك لا يسكن قبره ولكنه بالأحرى هو النور والقوة الروحية التي تتجلى للباحث عن متابعة طريقه، ويلفت قوله هذا نظر المسلم إلى مبدأ يجب أن يتمسك به، وهو ضرورة إقامة علاقة بينه وبين مصدر النور العلوي، وفتح وجوده لاستقبال نفحاته وبركاته، وأن الله يؤازر الباحثين عن الحقيقة من خلال مصادر إنسانية.

الحج يعني في جوهره التسليم الكامل لله، حيث يقتل الإنسان ذاته المحدودة، ويقصد وجه الله، فإذا ما نجح في ذلك يكون بمثابة شهادة ميلاد جديد له، أي حياة جديدة وبعث جديد. تقديم الأضحية كمنسك من مناسك الحج هو إحياء لقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع ولده إسماعيل عليه السلام حيث كان مستعدا للتضحية بابنه امتثالا لإرادة الله، ويمثل هذا الإذعان لأمر الله تخلص إبراهيم عليه السلام من نفسه وأنانيته، وحررها من كل رباط لها

---

[٢١] هذا الحديث رواه الطبراني وابن حبان، وهناك من الأحاديث الأخرى التي تبرز قيمة زيارة الرسول ﷺ في مسجده الذي يضم قبره منها: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى" الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. أيضا: "من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي"، "من زارني في قبري وجبت له شفاعتي" وقد رواهما القاضي الفياض (التاج الجامع للأصول، الجزء الثاني ص ٢١٦).

سوى رباطها مع الله، وعندها لم تعد هناك ضرورة للتضحية بابنه وفداه الله بكبش، وهو ما سيظل رمزا دائما إلى ضرورة قتل النفس الدنيا من أجل تحقيق ميلاد جديد وكسب حياة جديدة.

فعندما يُقدّم الحاج أضحيته يجب أن يتذكر هذا المعنى، ويتأسى بإبراهيم عليه السلام حيث يتعلم أن عليه هو الآخر أن يدرك أن التضحية بالحيوان ما هي إلا رمز لخلاصه الروحي، وأنه يكون في ذلك موصولا بالله إذا ما تلقى الاستنارة الروحية من إبراهيم.

على الحاج أن يحرِم في ملابس غير مخيطة كما لو كان يرتدي كفنا يخرج به من هذه الأرض، ورغم أن ذلك لا ينطبق على السيدات بطبيعة الحال إلا أنهن يرتدين أيضا ما يشبه الزي الموحد الذي يغطي الجسد كله، فيما عدا الوجه. لكن الحاج رجلا أو امرأة يكون كمن قطع علاقته تماما بالعالم الخارجي، فلا يقص أظافره أو شعره، أو يقتل أي حيوان أو يؤذي أي حشرة، فهو بذلك يعيش حياة حقية فحسب أي حياة روحية خالصة، ويكون مستعدا لاستقبال الأنوار والنفحات من مصدر علوي.

الهدف الحقيقي للحياة، هو أن يحيا الإنسان باسم الله، ويستجيب دوما لندائه، وعلى جبل عرفات ينشد الحجاج معا "لبيك اللهم لبيك"، وهو بمثابة نداء المراد منه إيقاظ الإدراك الإنساني والمعرفة بأن دعوة الله عن طريق رسله دائمة وهناك من يسمعها الآن، ويلبي النداء. فالحجاج فوق جبل عرفة بتلبيتهم يعبرون عن الاستجابة لنداء الله للإنسان، لأنهم بلغوا مرحلة من الإدراك الروحي صاروا معها في حضرة بيت الله.

يكتمل الحج عندما يتمكن الإنسان من التغلب على شيطانه، ويرمز إلى ذلك برمي الجمرات في اتجاه محدد نحو حجر يرمز إلى الوجود الشيطاني. وبعد تطهر الإنسان يكون أهلا لاستقبال معنى الحياة الحقيقية، فيسعى سبعة أشواط بين جبلي الصفا والمروة. "الصفا" يعنون الصفاء والنقاء، "والمروة" يعنون مصدر الري للعطشى. والحج بذلك يمثل معنى العبودية الكاملة لله، فالإنسان في الحج يترك خلفه مركزه الاجتماعي، أو منصبه وثروته، ويجب ألا يشغل باله وعقله إلا بذكر الله والاستجابة لندائه.

إن الطواف الذي يقوم به الحاج حول الكعبة، يرمز إلى الأسلوب الذي يجب أن ينهجه الإنسان في حياته، فيجب عليه أن يكون له هدف كلي، ونقطة مركزية، تدور من حولها

كل أعماله، وعليه أيضا أن يكون منفتحا لاستقبال المدد النوراني من مصدر حقي على هذه الأرض، حتى لو كان لا يعرف لهذا المصدر وجودا ماديا.

لقد وُصف محمد رسول الله ﷺ بأنه "القرآن الحي"، كما قال الحق في كتابه:

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"

(الأنبياء: ٢١ :١٠٧)

فكل ما يقوله أو يفعله مصدره حقي إلهي، ولقد أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس أنه يعبد الله وكأنه يراه، فهو في عبودية واستسلام كامل لله:

"قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"

(الأنعام: ٦: ١٦٢) .

وعندما تتحول متابعة الرسول ﷺ إلى تقليد أعمى، ويفرض بعض الناس أوامر قاسية وصارمة تحت اسم أي سلطة دينية فإن الدعوة الإسلامية تكون قد انحرفت عن مسارها وفرغت من جوهرها.

الخلاصة

كل الديانات تدعو الإنسان للارتباط بمصدر إنساني علوي (بوذا وكريشنا وموسى وعيسى..) ارتباطا تستيقظ معه بصيرته. فـ"الجورو" في ديانات الشرق الأقصى هو استمرارية وتجل دائم لهؤلاء الرجال المستنيرين بنور الحق. وفكرة "البابا" تخدم أيضا نفس هذا المعنى، وفي الطاوية هناك تجسيم لمظاهر الطبيعة وارتباط الإنسان بها نفسه بطريقة باطنية خفية.

أما في الإسلام، فالرباط والمحبة لرسول الله ﷺ ضروريان لمواصلة الطريق القويم وجني ثمار الإيمان. فهذه المحبة في الإسلام هي بمثابة منظور أو منطلق يُوجه الإنسان ويحدد وجهته. والكعبة ترمز إلى هذا التوجه، فالكعبة كما أشار القرآن كان لها وجود أثناء حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام، أما استخدامها بهذا الشكل الرمزي فلم يكشف عنه النقاب إلا مع الرسالة المحمدية. والطريقة التي يقام بها الحج تثري هذا المعنى، حيث توضح الشعائر المرتبطة بالحج الارتباط برسول الله ﷺ كمعنى ورمز.

نتائج البحث وخلاصاته

كان الهدف الرئيسي من وراء هذا العمل هو محاولة إثبات أن هناك أساسا لدين فطري واحد ، تجلى في كل الديانات والحكمة القديمة والرسالات السماوية. وبغض النظر عن اختلافات اللغة والطقوس و العادات ، فهناك نقاط محددة بُني عليها المنظور المقدم في هذا العمل وهي كالآتي:

- هناك مفاهيم أساسية مشتركة بين جميع الديانات.
- هناك استمرارية لتلك المفاهيم الأساسية في الديانات جميعا.
- تعاليم وإرشادات كل الأديان يصب بعضها في البعض الآخر، بينما صدَّق وأكمل الإسلام وهو الديانة السماوية الأخيرة، كل الديانات السابقة عليه.

النتائج التي وصلنا إليها يمكن عرضها على النحو التالي:

١. كل الديانات تدعو الإنسان إلى الإيمان بالقوة العليا، مبدعة القانون الإلهي، إيمانا يحرره من عبودية حياة زائفة، ويربطه بالمعنى المقدس داخله ومن حوله.

٢. كل الديانات تدعو الإنسان إلى الإيمان بديمومة الحياة واستمراريتها، وترشده إلى التركيز على النمو الروحي له خلال فترة تواجده على الأرض.

٣. كل الديانات تدعو الإنسان أن يربط كل نشاط وعمل له على الأرض بهدف أسمى في الوجود، وترشده إلى أن يواجه التحديات والمشاكل الناجمة عن التواجد على الأرض. فهي تربط بين كيفية مباشرة الإنسان لأعماله الدنيوية، وبين مكاسبه المعنوية وهو في

سبيله لتحقيق حياة روحية مثمرة. فعلى الإنسان أن يدرب نفسه حتى يجعل جميع أعماله ومشاعره تنبع من النفس العلوية، لا من نفسه الدونية. والمعايير الأخلاقية التي تشترك فيها جميع الأديان مثل نبذ الأخلاق الذميمة كالكذب، السرقة، القتل، الغش، والحسد..الخ، هي وسيلة لتقوية النفس العلوية. كما أن الحض على مكارم الأخلاق من محبة، وتعاون، ومغفرة، وبر الوالدين الخ.. هو نوع من مساعدة الإنسان في رحلة تطوره ونموه الروحي.

٤. كل الممارسات الدينية هي في حقيقتها وسائل للتطور والنمو الروحي:

٤/١ قضاء بعض الوقت بعيدا عن نشاطات الحياة، ومحاولة الإنسان ربط نفسه بالقوة العليا (ذلك هو جوهر الصلاة والتأمل).

٤/٢ محاولة التواصل مع الجانب المقدس داخل الإنسان وذلك بكبح جماح وشهوات ومتطلبات جسده (ذلك هو جوهر الصوم ورياضات التقشف والزهد)

٤/٣ محبة المرء للآخرين كمحبته لنفسه، والتعبير عن ذلك الحب بمساعدة المحتاجين، مع شكر الله الذي أولاه هذه النعمة، فلا ينسب في ذلك الفضل لنفسه، أو يتخذ منه ذريعة للاستعلاء على الآخرين (ذلك هو جوهر الصدقة والزكاة).

٤/٤ الارتباط بمصدر علوي للإرشاد (ذلك هو جوهر الحث على إتباع "جورو" أو الإيمان بنبي أو رسول).

٥. الإسلام كما أوحي به إلى محمد رسول الله ﷺ قد صدّق وأوضح وأكمل المبادئ الأساسية التي قامت واستمرت بين جميع الأديان. ولقد تناولنا بعض هذه النقاط بإيجاز في هذا العمل الذي نحن بصدده، إلا أن ذلك سوف يتم مناقشته بالتفصيل في عمل آخر. ونستعرض معا بعض النقاط التي أكملها الإسلام:

٥/١ كشف الإسلام عن كثير من جوانب القانون الإلهي، وعن علاقة الإنسان بالغيب وأوضح أنه طبقا للقانون الإلهي للإنسان مكانة خاصة في هذا الكون، وأنه ليس هناك تعارض أو تناقض بين تطور الإنسان الروحي، والقيام بواجباته الدنيوية اليومية للحصول على حاجاته. إن هذا التناغم بين الأرض والسماء داخل الإنسان خاصية تميز تعاليم الدين الإسلامي وتفردها، فالإنسان هو المخلوق الوحيد على ظهر هذه الأرض الذي يملك القدرة على بلوغ النضج

الروحي من خلال إشباع احتياجاته الأرضية إذا ما اتخذ الاتجاه الصحيح والتناول السليم، والشيء الذي يجعله متميزا عن سائر المخلوقات هو استعداده الطبيعي للوعي بالجانب المقدس داخله، وتحمله مسئولية العمل على تحقيق نموه الروحي، وهو بدون ذلك الوعي معرض لانتهاك قانون النمو الروحي وتدمير نفسه. من هذا المنطلق يشجع الإسلام الإنسان على إعمال إرادته الشخصية، وعليه أن يختار بنفسه إما طريق الخلاص والتطور الروحي، أو طريق الانحلال والفناء.

٢/٥ كشف الإسلام أن رحمة الله هي التي تقف من وراء أي نجاح قد يحققه في جهاده على هذه الأرض، وهذه الرحمة لا يمكن التحكم فيها، أو اعتبارها أمرا مفروغا منه ومسلما به، إنما بتقديرها حق قدرها يتمكن الإنسان من مقاومة نزوعه إلى الإحساس القوي بذاته المحدودة، وذلك إذا لم ينسب الفضل في تحقيق ذلك لمهارته بل إلى عون الله ومدده. إن هذا الفهم يدفع الإنسان دفعا إلى مزيد من العمل الجاد المخلص الذي يجعله أكثر عرضة لنفحات الله ورحماته، وانطلاقا من وعيه بأن الله يختص برحمته من يشاء، وأنه لا ضمان هناك للحصول على هذه الرحمة، فإن إيمانه بالغيب يقوي فيه مشاعر التواضع ويزيد حنينه وتطلعه إلى خالقه، ويطهر قلبه.

٣/٥ في الوقت الذي تتقاسم فيه كل الأديان حقيقة مفادها أنها تزود الإنسان بالشعائر والممارسات التي تساعده في نهج منهج للتطهر، يقدم الإسلام له شعائر تتناغم وحياته اليومية بصورة رائعة، حيث هناك تناغم تام بين حركة القمر حول الأرض، وحركة الأرض حول نفسها وحول الشمس، وبين أوقات أداء هذه الشعائر، فصلاته تتخلل عمله ونشاطه اليومي وفقا لحركة الأرض حول نفسها في مواجهة الشمس، وهذه الصلوات الخمس تكمل نشاطه اليومي بهالة من القداسة، ثم إن شهر الصوم في رمضان وهو شهر قمري يتخلل العام، والمراد منه أن يجعل الإنسان باقي شهور السنة مماثلة لسلوكه في هذا الشهر حتى يكون في عبودية دائمة لله، وبنفس المنطق فإن الهدف من وراء الحج والذي هو مطلوب منه مرة واحدة في عمره، هو أن يحوّل حياته بأسرها لتصبح حياة مقدسة.. هذا ويجدر الإشارة إلى أنه في الوقت الذي تعتمد فيه الصلاة عند كل الأديان على

تلاوة بعض الكلمات المقدسة أو الصمت، نجد أن كل حركة يقوم بها المسلم في صلاته هي في حد ذاتها وسيلة توصيل معنى، أو إظهار رمز يُرمز بـــه لعلاقـة الإنسان مع ربه، كما أن استقبال القبلة أو الكعبة "بيت الله" يكشف عن وجود مركز على هذه الأرض يتوجه إليه الباحثون عن الحق.

٤/٥ الإسلام يقدم أيضا منهجا متكاملا للجوانب المختلفة من حياة الإنسان علـى الأرض يجعل كل لحظة من لحظات حياته عليها إسهاما في نموه ورقيه الروحـي، فالإسلام يدعو الناس جميعا على المستويين الفردي والجماعي للسـلوك وفقـا للمبادئ الأخلاقية الحميدة والمبادئ الإنسانية، ولا تكمن قيمة تعاليم الديـن الإسلامي في مجرد توفير تفاصيل في كافة مجالات الحياة السياسية والاجتماعيـة والاقتصادية أو التربوية والتعليمية، هو ما يُحسب لهذه التعاليم، وإنما في كـون الإسلام قد جعل من كل جانب في الحياة سببا ومجالا لتحقيق التناغم مع القانون الإلهي في كل تجلياته. كما أن الإسلام لم يكشف فقط عن إطار مرجعي يساعد الإنسان في أن تكون حياته مثمرة، بل أمده أيضا بالطريق الذي يعظّم به منجزاته الروحية والمادية، فتجعله قادرا على تحقيق رسالته على هذه الأرض كخليفـة لله عليها. الإسلام في ذلك لا يُثبت أنماطا بعينها للسلوك، لكنه معـنيّ بالمبـادئ والمفاهيم العامة، ويقترح وسائل لتطبيق هذه المبادئ تطبيقا عمليا، ويترك البـاب مفتوحا أمام قدرات الإنسان الخلاقة لابتكار أنماط جديدة بلا حد ولا عد.

خاتمة

حيث أن الديانات والرسالات السماوية تقاسمت فيما بينها مبادئ أساسية واحدة، نستطيع أن نقول بحد ما من الثقة أن هناك دينا فطريا واحدا، كُشف عنه للإنسان تدريجيا، وقد صدقت عليه وأكملته رسالة سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

إن استيقاظ الوعي في الجنس البشري بأسره على حقيقة أن هناك دينا فطريا واحدا، وتفهم البشر أن هذا الدين يدعوهم لحياة مثمرة، ومملوءة بالبهجة والسلام، كفيل بتغيير العلاقات بين الجماعات المختلفة في العالم. بل وبأن يحمل أتباع كل ديانة الاحترام المتبادل فيما بينهم. ويدرك الجميع أن أي موقف عدائي يتخذه أتباع ديانة ما، تجاه أصحاب أي ديانة أخرى إنما هو في الواقع يخالف تعاليم ديانتهم هم أنفسهم.

فالجميع يستطيعون أن يرون بأنفسهم أن التجمد والتعصب والتصارع ومشاعر التكبر والعلو ومحاولات البعض لأن يظهر دينهم ويسود بالقوة والعنف، إنما هي نتائج الجهل بالإرشاد الأصلي في ديانتهم. وإن الإيمان بوجود دين واحد عبّر عنه بوسائل مختلفة قد يسفر عنه تبادل التجارب والأفكار، مما يساهم في إثراء الفهم عن تعاليم كل دين على حدة دون حاجة تحول أي شخص من دين إلى آخر. فالإسلام كما أظهره وكشف عنه رسول الله ﷺ يُثري الفهم والإدراك الإنساني عن كيفية تحقيق حياة متوازنة ومتناغمة.

إن هدفنا من إبراز فكرة وجود الدين الواحد هو أن يميز أتباع كل ديانة المبادئ الأساسية المشتركة التي تتقاسمها كل الأديان وأن يعملوا على الحياة وفقا لهذه المبادئ، حتى لو تمسك كل منهم بدينه وحافظ على هويته الثقافية. إذا أفلحنا في ذلك لتمكنا بلا شك من حل جميع مشاكلنا الرئيسية دون تصارع بين الحضارات والثقافات، لأننا نكون قد تعالينا فوق مظاهر اختلافنا الشكلي دون أن يحطم أحدنا الجمال المتفرد لكل حضارة وثقافة. إن الطبيعة



تعلمنا أن اختلاف مظاهرها لا يتعارض مطلقا مع وحدقا، ففي داخل مملكة الزهور أنـــواع منها لا تعد ولا تحصى، بل إن أوراق الشجرة الواحدة قد تبدو متشابهة، ولكنـــها ليســـت كذلك للمدقق المتأمل.. ونحن كبشر تختلف ألواننا وألسنتنا وأصولنا العرقية ولكننا نتقاســـم جميعا حقيقة كوننا ننتمي إلى نفس الجنس البشري، فحاجاتنا الجسمانية واحدة، وكذلـــك الروحية، ولذا جاءت جميع الأديان مع اختلاف أسمائها لإشباع تلك الحاجات، وهــــي في الأصل والجوهر دين واحد، هو ما نطلق عليه هنا "دين الفطرة" وهو ما أطلق عليه القـــرآن (الإسلام) ونحن جميعا ننتمي إلى هذا الدين الواحد.

المـــراجــــع

المـــراجـــع الأجنبيـــة

- Hua-Ching Ni, Entering the Tao: Master Ni's Guidance for Self - Cultivation, Shambhala, Boston & London, 1997
- Moustafa Gadalla, Egyptian Cosmology, The ABSOLUTE Harmony, Bastet Publishing, Erie, Pa., U. S.A. /Cairo, Egypt, 1997
- E.A.Wallis Budge (Transliteration and Translation), The Egyptian Book of the Dead: (The Papyrus of Ani) Egyptian Text.
- Thomas Cleary (Translation and Presentattion), The Essential TAO: An Initiation into the Heart of Taoism Through the Authentic "Tao TeChing and the Inner Teachings of Chuang Tzu
- Macmillan World Religions Encyclopedia, Macmillan Publishing Company, 1998.
- S. Radhakrishnan (Introductory Essay and Translation into English), Bhagavadgita, Harper&Brother Publishers, New York, 1948
- Al Drucker, Sai Baba Gita, Atma Press, U.S.A., Colorado, (Http://www.atmapress.com)
- Paul Carus (compilations from ancient records), The Gospel of

Buddha, Web Publications by Mountain Man Graphics, Australia, 1894 (http://www.magna.com.au/~prfbrown/buddha/carus)

- The Teachings of Buddha, donated by Buddhist Promoting, Japan.
- The Holy Bible, King James Version
- W. R. F. Browning, Dictionary of the Bible, Oxford, London, 1996

المراجع العربية

- المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة، ١٩٨٥م
- موسوعة الحديث الشريف لشركة صخر لبرامج الحاسب، القاهرة ١٩٩٥م
- التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ﷺ الشيخ منصور علي ناصف (من علماء الأزهر الشريف)، مطبعة عيسى إلياس الحلبي وشركاه بمصر، ١٩٣٤م
- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس. ماستر ميديا. القاهرة. ١٩٩٧

"الله أحد وواحد، ولا وجود لأحد معه.. الله الواحد هو خالق كل شيء.. الله هو الروح.. الروح الخفي.. روح أرواح المصريين.. الروح المقدس.. الله هو الأول.. ووجوده أولي.. قديم سابق لكل الكائنات.. كان موجودا ولا شيء معه ثم خلق الخلق"

قدماء المصريين

"الطاو هو الطاقة الكونية والمبدعة والأصيلة التي لا يمكن سبر غورها أو الإحاطة بها، إنها تكمن من وراء الزمان والمكان، وتحوي كل الوجود، وما ليس بوجود، مع كونها ليست الوجود ولا غير الوجود"

الطاويـــة

"أنت الذي لا يموت، حافظ القانون السرمدي"

"يا واحد يا ممجد يا من هو أعظم من براهما، يا خالق كل شيء"

"أيها اللانهائي الموجود واللاموجود، وما وراء ذلك كله"

الهندوسيـــة

"القانون فعّال في كل الأشياء المتغيرة، وعندما تبصر القانون فإنك في الواقع تبصر الحقيقة"

بدون "الحقيقة" لا يعدو أي شيء عن كونه وهما. وبدون "الحقيقة" ما كان هناك القانون.

لكن "الحقيقة" متعالية عن كل القوانين"

البوذيـــة

"أهيَهُ الذي أهيَهْ" ومعناه (أنا الكائن الدائم) .... إن الرب الكائن إله أبائكم، إله إبراهيم وإسحق ويعقوب قد أرسلني إليكم، هذا هو اسمي إلى الأبد، وهو الاسم الذي أُدْعى به من جيل إلى جيل..

العهد القديم (الخروج: ٣: ١٤، ١٥)

"ولا تدعو أحدا على الأرض أباً لكم، لأن أباكم واحد، وهو الأب الذي في السماوات"(متى: ٢٣: ٩)

لا يمكن لأحد أن يكون عبدا لسيدين: لأنه إما أن يُبْغض أحدهما فيحب الآخر، وإما أن يلزم أحدهما" فيهجر الآخر. لا يمكنكم أن تكونوا عبيدا لله والمال معا" (متى: ٦: ٢٤)

العهد الجديد

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (الأنعام: ٦: ١٠٣)

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (الإسراء: ١٧: ٤٣)

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ (البقرة: ٢: ١١٥)

القرآن الكريم